



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



AUB. LIBRARY

مقدمة

رغب إلى جورج افندي ، أبيض صاحب الفرقة المعروفة الآن باسمه ،
في ترجمة هذه القصة ، فترددتُ زمناً ، ثم أتيح لي أن رأيتهُ يمثل تجربة
من « أديب » فأعجبني إتيقانه وإتقان بعض أعوانه واستخرتُ الله في
نقل عطيل إلى لغتنا الشريفة .

فلأذكركُ أولاً ما دعاني إلى اختيار اسم عطيل ردّاً على بعض المعترضين .

كان عطيل في زعم القصّاص الذي نقل عنه شكسبير أصل هذه
الحكاية ، يدويّاً مغريباً جلا إلى البندقية وخدم في جيشها حتى أصبح
قائده الأكبر ، وعقيدته في الملمات . والمغاربة يومئذٍ خليط من العرب
والبربر المستعربة . فأما أن يكون قد دعى منذ مولده باسم أفرنجي فغير
محتمل ، وأما أن يكون قد دعى باسم عربي حرّفته العجمة ، فهو
الأصح عقلاً . فإذا رددنا أو تلوّنا إلى لسانه الأصلي ، فالذي يستخرج
من حروفه أحد اثنين : عطاء الله أو عطيل . فأما عطاء الله فلم أتوصل
إلى تحقيق أن مغريباً واحداً سمّي به ولهذا ضربتُ عنه صفحاً ، وأما
عطيل فقد اعتقدت أنه الأخلق بالاختيار لسببين : أحدهما أنه أشبه بما
جرت عادة العرب على تسمية الزوج به من ألفاظ التعجب أمثال مسعود

ومسرور وزيتون ومرجان اللذكور ، وخيزران وضياء للجواري . ومعلوم أن عُطِيلًا تصغير تحبب لصفة عُطْل بمعنى عاطل أي خلو من الحلية فتسمية أحد الزوج به إنما هي محاكاة صحيحة لاصطلاح العرب . وثانيهما لأن « عُطِيلٌ » بضم أوله ورفع آخره مع تخفيف التنوين أقرب إلى أولتلو من كل اسم سواه .

بقي في هذا الصدد أن أقول مروراً للذين تمنّوا لو أبقيت اسم أولتلو كما أورده المؤلف ، إنني لم أوافقهم على هذا لأنني كرهت أن أثبت في العربية اسماً من أسماؤها على الرطانة التي حرّفته إليها العجمة لغير ما سبب سوى الشهرة التي اكتسبها على تلك الصورة ، في حين أنه لا يتعذر إكسابه مثلها وهو مردود إلى أصله التقديرى أو التحقيق من غير أن نسوم مسامعنا جراحة تحريفه . ذلك ما أوحى إلى اليقين أنه خير وأولى .

بعد هذا التفسير الذى تقاضتني إياه بعض الصحف ، ونفرت من الأصدقاء ، أرجع إلى الرواية ولى فيها مبحثان موجزان ، من جهة الأصل ، ومن جهة التعريب .



أما من جهة الأصل فأقول إن واضع هذه القصة إنما هو نابغة الأدهار فى فنّه وأعنى به شكسبير . وضعها لإظهار الغيرة وتأثيرها فى الرجل

بأقوى وأصدق ما دلّ عليه الاختبار من أمرها ، ولذلك اختار عاشقاً
إفريقيّاً بدوى الفطرة — ليكون وثاباً الشعور غنيقه — عسكريّ
المهنة — ليكون سريع التصديق والانخداع — مكتهاً أى فى أوّل
الانحدار من سنّ الأربعين — ليكون أشدّ فى التعشق كما هى شيمة
أمثاله ممن يسطو عليهم الحب بعد انقضاء الشباب ويكون أيضاً فى الحالة
التي يتهم فيها الإنسان نفسه بفقدان أكثر الخلال التي يقتضيها الغرام
ولا سيما حينما يكون المستهام أسود البشرة من أحلاس الحروب ،
والمستهام بها بيضاء منعمة من قوم فسدة الأخلاق مترفين .

ذلك هو الغرض الأساسى العام الذي رمى إليه شكسبير فأصاب به
دقائق الحقائق إصابة كانت فى جملة ما حمل أكبر المفكرين وأعظم
الكتبة على الشهادة له بأنه أنجز خير بخفايا القلوب ، وأمر
كشاف لخبائها .

نم إنه أدار حول هذا المحور غرضين *Themes* ثانين : أحدهما إثبات أن العفة
لا تنفنى من مدينة مهما فسقت بل قد تزداد تمكناً من نفس المرأة
المتحصنة بمقدار ما تندثر العفة بين جيرتها وفى عشيرتها ، والثانى تبين
الاحتيال ونهاية ما يبلغه من نفس رجل ذكى مطامع خسيس أصمّ
الضمير ، مستبجح كل محرم ، مستهين كل منكر فى سبيل غايته .

كيف صرف شكسبير قريحته العجيبة فى ألوف الجزئيات التي

تؤدي إلى تصوير الغرض الكلى والغرضين الملحقين به ؟ ذلك ما يقف عليه القارئ أول وهلة من مطالعته للقصة فإنه يشعر قليلاً قليلاً أن الأسماء تمحى ويستبدل بها أشخاص مقومون في أصلح تقويم لكل منهم . ويدخل متدرجاً من الوهم في الحقيقة فيرى وهو يسمع ويسمع وهو شاهد مشاهد مما ألفه في الحياة لا يردّه إلى كونه قارئاً سوى انتهائه إلى دفعة الكتاب .

ومن جهة هذا التصوير الأخاذ الذي يصور به شكسبير الحقيقة رأى بعض جهابذة النقد أن ذلك الأمتاذ العظيم يبالغ فيه مبالغة قد يجاوز معها الحدود التي يرسمها الفن . صدقوا ولكن هل كانت عبقرية هذا الرجل لتحد بحدود ، وهل مثل العقل الذي رزقه كان مما يقيد بقيود ؟

الشاعر الذي افتتن « فكتور هوغو » بغرابة شعره ، ووجد عند فراسته وطلاقة وقوة تمثيلة للمعنويات بالحسيات ، مبدأ المذهب الحر الذي ذهب إليه فيما بعد هو وأضرابه وأصبح سنة الكتاب في العالمين .

الكاتب المنتب المتعمق في مظاهر الخلائق ومضممراتها مع قدرة على المحاكاة ومهارة في الاختيار وبراعة في التأليف وسلطة على اللفظ يستدني به أبعد المعاني ويقيد أو يبدد الوجدانات ، الذي أعجب به المؤرخ الفيلسوف « تايين » وناهيك بألوف المعجبين غيره من قبله ومن بعده .

الأديب الذي تترجم مکتوباته على وفرتها إلى كل لغات الدنيا ،

وفي بعض اللغات كالفرنسوية تكثر تلك الترجمات وتتنوع ويجيز أحاسنها المجمع الأدبي الأكبر كما أُجيزت ترجمة «مونتيجو» و«ليتنور» وغيرهما فتطلع الأمم المختلفة الألسنة والأجناس والأذواق والمثل والنحل على مكتوباته سواء في أصلها أو في غير أصلها ، وتقرّها في أعلى منزلة عندها لجمعها المذهب والمطرب إلى الفكاهة والمفيد والمبكي والمضحك إلى الزاجر والمؤنس .

أهذا الذي يُطلب منه أن يكون أسير اصطلاح وعبد لفظة ورقيق أوضاع سبق الاتفاق عليها ؟

خرج شكسبير عن ذلك الطوق ونعمًا فعل . ولو أبقاه في عنقه لما اشرباً صعداً إلى مناجاة أجرام السماء ، ولا أطاق الإمّ كباب إلى أبعد أغوار الأسرار في الطبائع البشرية .

من ذلك المنجم العظيم نجمت «عطيل» وهي إحدى آيات مستخرجاته ولما كنت أعهد فيه من نادر المزايا وجدت من كلفى بها معواناً على معاناة تعريها .



فأما من جهة التعريب فأقول إن في نفس شكسبير شيئاً عربياً بلا منازعة وهو أين فيها مما بان في نفس فكتور هوجو . أقرأ لغتنا أم نقلت إليه عنها بعض المترجمات الصحيحة ؟ لا أعلم . ولكن بينه وبيننا من

وجوه متعددة مشاكلة محيرة ، فإن عنده مثل ما عندنا جِرة على الاستعارة
 وذهاباً بضروبها في كل مذهب ، وله مثل ما لنا كلف بالتنقل الوشي من
غير تمهيد ولا استئذان يدفعك من القصد إلى القصد وشيكاً وعليك
 أن تتمهل في فكرك وتجد الرابطة ، وبه مثل ما بنا من الهيام في المبالغة
 التي لا يقبلها من الكاتبين ولا يعقلها من القارئين إلا الذين في تصوّرهم
 حدّة وجاح كما يكون عادة عند الشرقيين وخصوصاً عند العرب .
 وعلى الجملة ففي كل ما يكتبه شكسبير شيء من روح البداوة قوامه الرجوع
الدائم إلى الفطرة الحرة .

تناولت الرواية لأعرّبها وتأنى أنوى ردها إلى أصلها كما رددت
 اسم عطيل وقبل أن أشرع فيها تفكرت في الأسلوب الذي اختاره لها .
 أهو ذلك الأسلوب المخرّق الذي تشف الفصاحة فيه عن رقع
 العامية ؟ لا وألفاً لا .

فتالله لو ملكت تلك العامية لقتلتها بلا أسف ولم أكن بقتلى إياها
 إلا منتقماً لمجد فوق كل مجد ، نزلت من هيكله الذهبي الخالص الرنان
 منزلة الرجلين الخرفيتين القدرتين فيفوقهما متداع وبهما مشوّه ؛ منتقماً
 لأمة كسرت العامية وحدتها وكانت عليها أكبر معوان للتصاريف التي
 مزّقتها في الشرق والغرب كل ممزق ؛ منتقماً للفصاحة نفسها وأية فصاحة
 في خُشارة لا تصيب فيها تبر الأصل إلا وقد تلوّث بذريرات لا تحصى
 من أوضار الرطانات بأنواعها .

بعداً لهذا الأسلوب إذن ! ولنختبر غيره ... أنوثر الأسلوب الجزل
المتين القديم ؟

لا ولا ! لأن الروايات إنما تكتب ليفهمها القوم ويستفيدوا منها
مغزى بجانب التفكئة . أفنعكس عليهم تلك السنة الشريفة التي سنّها
النبي القرشي بقوله : أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم .

بعد هذا وذاك لم يبقَ إلاّ الأسلوب الوسط وهو الذي تكون بمقتضاه
الألفاظ كلها فصيحة لكن سهلة ، وتفكك الجمل تفكيكاً يقرب مدلولاتها
من الأفهام بمحاكاة لفنون المحادثات المستجدة من غير أن يفوتنا
الاتفات في ذلك التفكيك إلى أشتات ما صنع أدباء العرب من مثله
لدواعي حال مخصوصة وإن لم يألّفه جمهور الكتاب الاحتفاليين .

هذا هو الأسلوب الذي آثرته وأرجو أن أكون قد وقفت فيه
بعض التوفيق ، فتجتمع معه لهذه القصة مزيّتان : إحداها أنها تكون
عربية فصيحة لولا الأعلام ولولا تشقيق الكلام على ترتيب مخاطبة بين
الفرجة قديماً وحديثاً ، والثانية أنها تمثل أقوال شكسير حرفاً بحرف
ولفظة بلفظة مع مراعاة انطباق كل منها على الاصطلاح الديني أو
الاجتماعي الذي لها عند القوم الممثلين فيصبح أن تكون هذه التجربة
مثالاً للتعريب يحتذيه طلبة المدارس .

أشخاص الرواية

دوق
دوق البندقية

أحد الأعيان
برابنسيو

أعيان آخرون

أخو برابنسيو
غراتيانو

مغربي شريف قائد جيوش في خدمة البندقية

عطيل

ملازمه
كاسيو

حامل عامه

ياجو Iago

وجيه بندق

رديجو

سالف عطيل في ولاية قبرص

ممتانو

مضحك وخادم لعطيل

مناد

بنت برابنسيو قرينة عطيل

ديدمونه

زوجة ياجو

إميليا

خليلة كاسيو

بينكا

ضباط ووجهاء ورسل وموسيقيون وملاحون وخدم إلخ

المشهد الأول يجري في البندقية وسائر المشاهد في مرفأ من مرفأ قبرص

الفصل الأول

المشهد الأول

في البندقية — طريق

يدخل رُدريجو وياجو

رُدريجو : كفى كفى . لا تخاطبني عنه بعد الآن . أنا آسف
جداً لأنك تَنَسَّمْتَ خَبْرَ هذه المسألة يا ياجو . . .
وأنت أنت الذي بددتَ ما شئتَ من مالى وصرفتَ
يديك في نقودى كأنها من حُرٍّ مالك .

ياجو : العجب أنك لا تريد أن تُصْنِعَ إلى كلامى ولعمري
لو أنَّنى فكرت مرة في خديعتك لكان لك أن
تَمَقَّنِي كل المقت .

رُدريجو : قلت لى إنك حائق على هذا الرجل .

ياجو : إذا لم يكن ذلك حقاً فلا كانت لى كرامةٌ عندك .
ثلاثة من كبراء المدينة سَعَوْا وتوسلوا إليه ليَجْعَلَنِي

ملازماً له . وبحق الرجولة إننى لأعرف قيمة نفسى
وأعرف أننى كفى لتلك المنزلة . أما هو فإنه لم يصنع
إلا إلى مشورة كبريائه وإيعاز ما سبق إلى وهمه
فتخلص من إجابة سوى بعبارات منقوخة مشحونة
بالألفاظ الحريية ختمها بقوله للموصين بى « لقد
اخترت ملازماً » ومن هو ذلك الضابط ؟ الله الله ...
هو حسّاب ماهر ... يدعى ميشيل كاسيو . رجل
فيورنتى . فتى ذهبت بلبه النساء الحسان ولم يسر
قط كتيبة في مُعترك ولا يعرف من تدبير واقعة
أكثر مما تعرف الفتاة العائس^(١) اللهم إلا من جهة
العلم النظرى المستظهر من الكتب وهو علم يحسنه
القساوسة كاحسانه إياه فجملة معرفته العسكرية
ثروة محض بلا عمل . ذلك ياسيدى هو الذى وقع
عليه اختيار القائد بصرف النظر عما أبلتته أنا من
البلاء الحسن فى رودس وفى قبرس وفى أمصار أخرى

Hello

مسيحية ووثنية . . يسوئني ^(١) قبيح الصبر على هذا
التأخير ويُقدِّمُ عليَّ من فوق رأسي ذلك المدوّن
الرقام الكاتب الصيّري . يتخذ ملازماً له وأنا
— حمداً لله وسروراً بهذا اللقب — أبقى حامل علم
لسيادته المغربية .

ردريجو : تالله لو كنت مكانك لأصبحت جلّاده .
ياجو : داء لا دواء له وهو من آفات الخدمة . الرقي يُنال
بالوصاة والصداقة لا بالسبق الزماني الذي كان ينبغي
بمقتضاه أن يُجْعَلَ كلُّ ثانٍ خلفاً للأول . . بعد هذا
ياسيدي أعملُ رأيك فيما إذا كان يسعني أن أحب
ذلك المغربي .

ردريجو : لو نالني منه ما نالك لما تبعته .

ياجو : حاملاً ياسيدي وهدوءاً بال . إنما أتبعه لأنتم منه .
لا نستطيع جميعنا أن نكون سادة ولا طاقة لجميع
السادة أن يجدوا خدماً أمناء . إنك لتُلفي ^(٢) بين

أولئك الخدم غير واحد من البله الخانعين ذوى
 الركب اللينة يُعْجِبُهُمْ رِقَّتُهُمُ الثَّقِيلُ فَيُقْنُونُ أَعْمَارَهُمْ
 على شاكلة الحمير التى تُرْهَقُ^(١) بالأحمال حتى إذا
 بلغوا من السن عِتِيًّا طُرِدُوا بِضَرْبِ السَّيَاطِ طُرْدَ
 المجرمين . غير أنه يوجد أيضاً بين الخدم أناسٌ غيرُ
 أولئك يظهرون بكل مظاهر الطاعة ويستعبرون
 كل أشكال الرعاية لكنهم يصونون ضمائرهم لخدمة
 أنفسهم ومع ما يُبْدُونَهُ من الامتثال لولا أنهم يوجهون
 مساعيهم لقضاء مآربهم حتى إذا وَشَّوْا ملابسهم
 بالذهب حَبَسُوا تَكْرِمَاتِهِمْ على ما اكتسبوه من
 رفعة القدر . أمثال هؤلاء لهم بعض النفوس وأجهر
 أنى واحد منهم . بل أزيدك يا سيدى تصريحاً
 عن حقيقة لا تقل عن حقيقة كونك ردرىجو وهى
 أنى لو كنت المغربى ما أردت أن أكون ياجو
 فإذا اتبعته فإنما إياى أتبع ويشهد الله أنى لا أوقره

(١) تحمل فوق طاقتها .

ولا أطيعه غير أننى أداجيه بالتَّوقِيرِ والطَّاعَةِ توسلاً
 بهما إلى أغراضى . هذه خُطَّتَى وهى الكتمان فإذا
 جاء رمان باح فيه ظاهرى للرجل ببعض ما فى باطنى
 لم ألبث أن أضع قلبى على رُذْنِ قيصى لِتَنَقُّرِهِ
 الحِدَاثِ^(١) الخواطف . أنا غير ما يُرى منى .

ردريجو : إننى لأستعظم على ذلك الأسود الوبرى ما يقع إليه
 من السعد الذى لا يُدَانِيهِ سعد فيما لو حصل على تلك
 الغانية أو حظى بقربها .

ياجو : نادِ أباهَا .. أيقظه من نومه .. ناوى ذلك المغربى ..
 دسَّ السم فى هناءته .. اجهر باسمه فى الأسواق ..
 استشط على الفتاة أهلها ... ثم أيّا كان المرتع
 الخصيب الذى يحلُّه ذلك الرجل فاقتله بذبابه ومهما
 تكن سعادته هى السعادةُ بحقيقتها فأدركه بالوخز
 والمضايقة حتى يَمْتَقِعَ^(٢) فى عينيه لونُها الزاهى
 ولو قليلاً .

(١) الطيور المعروفة عند العامة بالحدَّيات (٢) يتغير إلى اصفرار .

ردريجو : هذا بيت أبيها . سأناديه صاعداً^(١) .

ياجو : افعل واجعل نداءك رهيباً مستطيلاً مع حزن كما
يكون في ظلام الليل وأمن الراقدين صَوْتُ الذي
يستكشف النار في مدينة كثيرة الأهلين .

ردريجو : يا هو . يا من هنا . برابنسيو . سنيور برابنسيو .

ياجو : استيقظ . يا هو . برابنسيو . اللصوص اللصوص .
ارْقُبْ بيتك . بنتك . أكياسك . اللصوص اللصوص .

برابنسيو : ما الموجب لمناداتي بهذا الصَّخَبِ المُرْعَبِ ؟ ما الخبر ؟

ردريجو : هل كل أهل بيتك في البيت يا سيدي ؟

ياجو : هل أبوابك مقفلة بإحكام ؟

برابنسيو : لم هذا السؤال ؟

ياجو : السؤال يا سيدي لأنك سُرقت . سرق منك شرفك .

البس رداءك . إن قلبك قد كُسِرَ وإن شطرة روحك

قد قُتِدَتْ . أنا أكلمك وفي هذه الساعة بل في

هذه الدقيقة فخل عجوز أسود يغشى نعلاتك البيضاء .

انهض انهض . أيقظ على قرع الجرس أهل المدينة
النائمين وإلا استولدك الشيطان حفيداً . انهض
انهض . إني حذرتك ..

برابنسيو : ما هذا الهذيان أحمجاً نين أتم ؟
ردريجو : يا سيدي الجليل أتعرف صوتي ؟
برابنسيو : لا .. من أنت ؟
ردريجو : أنا ردريجو ...

برابنسيو : لا أهلاً ولا مرحباً لقد طالما حذرتك من ارتياد
أبوابي وأبلغتك بصراحة أن ابنتي ليست لك والآن
بعد أن ملأت جوفك وأفرغت فيه ما لا يسع من
الكؤوس حتى أصابك المس^(١) جئت بهذه المكيدة
السيئة توقظني من نومي مرتعداً .

ردريجو : مولاي . مولاي . مولاي .
برابنسيو : لكن ثق أن في خلقي وفي مجدي ما يمكنني منك فتندم .
ردريجو : تلطّف يا سيدي الرحيم .

(١) ضرب من الجنون .

برابنسيو: ما تلك السرقة التي تذكرها لي . نحن في البندقية
ومنزلي ليسَ بعضَ الأهرَاءِ في الخلاء .

ردريجو : يا عظيم الوقار برابنسيو لقد جئتكَ بقلب صاف
وضمير لا كَيْدَ فيه .

ياجو : أنت يا سيدي من الذين لا يَخْدُمُونَ الله لو نهاهم
الشیطان عن خدمته . لأننا جئنا نسيدي إليك معروفاً
وأنت ظننتنا أهلَ بغى تدع ابنتك يغشاها جَوَاذُ
من البربر ؟ لتلدنَّ لك حفداء يَصْهَلُونَ في وجهك
وليكوننَّ لك أبناء عمٍّ من الخيل وأقرباء من المهاري .
برابنسيو: أنت من أيها الدَّعي الضُّحكة ؟

ياجو : أنا يا سيدي رجل جاء ليقول لك إن ابنتك والمغربى
الآن متكوَّنان في شكل حيوان ذى ظهري .

برابنسيو: أنت سافل .

ياجو : وأنت . . . عضو في مجلس الأعيان .

برابنسيو: سيكون لك معنى شأن . عرفتكَ يا ردريجو .

ردريجو : الشأن الذي تريده يا سيدي . لكن أبتهل إليك أن

تنبئني : أَمْ بِمَشِيَّتِكَ وَبِمَقْتَضَى حِكْمَتِكَ كَمَا يَكَادُ يَنْبُتُ
 ذَلِكَ ، خَرَجْتَ كَرِيمَتِكَ الْجَمِيلَةَ فِي هَذَا الْمَزِيعِ الْآخِرِ
 مِنَ اللَّيْلِ إِذِ النَّاسُ نِيَامُ وَإِذْ لَا يَزِيدُ حَارِسَهَا وَلَا
 يَنْقُصُ عَنْ أَحَدِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ يُخْدُمُونَ الْجُمْهُورَ مِنْ
 مَلَاةِ الزَّوَارِقِ لَتَسْتَسْلِمَ بَيْنَ ذِرَاعِي مَغْرِبِي كَشِيفٌ ؟
 فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بَعْلَمَ مِنْكَ وَسَمَحَ فَقَدْ أَسَأْنَا إِلَيْكَ وَجَرُّوْنَا
 عَلَيْكَ وَإِلَّا فَكَاؤُنِي بِكَ تَهْمِينُنَا وَلَا ذَنْبَ لَنَا . وَلَا
 تَظُنْ أَنَّنِي تَنَاسَيْتُ مُقْتَضِيَاتِ الْكِرَامَةِ إِلَى حَدِّ أَنْ
 أَسْتَنْزِلَكَ مِنْ مَقَامِكَ الْعَالِي لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَازِحَةِ بَلْ
 أَعِيدَ عَلَيْكَ أَنْ ابْنَتِكَ — إِذَا كُنْتَ لَمْ تَأْذَنْهَا — قَدْ
 ارْتَكَبْتَ خَطَأً جَسِيماً بِمَنْحِهَا يَدَهَا وَجَاهَهَا وَعَقْلَهَا
 وَثَرَوَتَهَا لِأَجْنَبِي شَرِيدٍ بَدَوِي مَوْطِنُهُ هَذَا الْبَلَدُ وَلَهُ
 مِنْ كُلِّ أَفْقٍ سِوَاهِ مَوْطِنٍ . بَادِرْ لَتَتَبَيَّنَ الْهَدَى . فَإِذَا
 كَانَتْ ابْنَتُكَ فِي غَرْقَتِهَا أَوْ فِي الْبَيْتِ فَادْفَعْنِي إِلَى عَدْلِ
 الْقَضَاءِ لِيَعَاقِبَنِي عَلَى خِدْعَتِي إِيَّاكَ كَمَا فَعَلْتَ

برابنسيو: اقدحوا الأزندة .. يارجالى .. هاتوا الى مشعلاً ..

استيقظوا يا أتباعي . استيقظوا كلُّكم . هذا
 الحادث لا يختلف كثيراً عما رأيته في حلمي . .
 يا لخوفي مما سألاقيه . . أنيروا يا رجالى أنيروا .
 (ينصرف عن النافذة)

ياجو : أستودعك الله لأنه ليس من العقل ولا من المصاحبة
 أن أبقى هنا فأُتخذَ شاهداً على المغربي الذي بيده
 منصبى خصوصاً مع علمي أن الحكومة مهما يسؤها
 منه هذا الخطأ فلا تستغنى بلا خطر على البلاد عن
 خدمة هذا الرجل ولهذا عَقَدْتُ له لواء الحرب
 الناشئة الآن في قبرس ولو بحثت عن غيره ما وجدتُ
 لها خيراً منه . فضروراتُ معيشتي قاضيةٌ عليَّ مع
 كرهى إِيَّاه أ كثرَ من كرهى لعذاب السعير أن
 أظهرَ لهُ الولاء . على أنها علامٌ لا شئ فيها غيرُ
 الظاهر . . فإذا أردت أن تجد الرجل فوجهه إلى المعقل
 الذى فيه الضباط من استيقظ من القوم للبحث عنه
 وسأكون هناك بجانبه . . إلى الملتقى .

(يدخل براينسيو وخدم معهم مشاعل)

برابنسيو: صدقتي النبأ وإن الخطب جَلَلٌ فلم يبق لي إلاَّ تَجَرُّعُ
الصاب بعد الهوانِ في القليلِ الباقي من أيامي .
قل لي ياردريجو أين رأيتها ! ويلها من فتاةٍ شقية ؟ أمع
المغربى ؟ مَنْ يَجْرُؤُ بعد هذا أن يكون والدًا ؟
كيف علمت أنها هي ؟ واحرَّ قلباه ! خدعتني من
وراء التصوير . . . ماذا قالت لك ؟ هاتوا مشاعلَ
آخر . أيقظوا كلَّ أقاربي . . هل تزوجا ؟ أظنُّ
أنهما تزوجا ؟

ردريجو : ذلك ما أظنه

برابنسيو: يا للعجب ! كيف خرجت ؟ يا خيانة الدم ! أيها الآباء
لا تَأْمَنُوا بَعْدَ الآن نفوس بناتكم على ما يُبْدِين
من الطهارة . ألا توجدُ ضروبٌ من السحر تُغَشُّ
بها الشبيبةُ وتُستدرجُ العفة ؟ ألم تقرأ شيئاً في هذا
المعنى يا ردريجو ؟

ردريجو : بلى يا سيدي !

برابنسيو: أيقظوا أخى . لماذا لم أرض بك قريناً لها . اذهبوا
بعضكم من جهة وبعضكم من جهة أخرى . أتعرف
أين نستطيع أن نظفر بهما ؟

ردريجو : أظن أننى أكشفهما إذا صحبتنى ومعك حرس أمناء
برابنسيو: أرشدنى أرشدك الله . سادعو الناس من كل منزل
وأمرى مطاع عند الأكثرين . تقلدوا أسلحتكم .
أيقظوا بعض الضباط المنوط بهم السهر هلم بنا
يا ردريجو وسأعرف لك هذه المنة .

المشهد الثانى

فى البندقية — طريق أخرى

(يدخل عطيل وياجو وخدم بمشاعل)

ياجو : لقد تعودت القتل فى الحروب ولكنى ما زلت
أخشى تحميل ضميرى إزهاق روح عن عمد
وتعوزنى فى بعض الأحيان مثل هذه الاستباحة

لخدمَةِ نفسي على أنني عَزَمْتُ تسعَ مرارٍ أو عشرَ
مرارٍ على إيلَاجٍ ^(١) نصَلْتُ في ذلك الشيخ هنا تحت
الأضلاع ولكن...

عطيل : كان خيراً أن تجرى الأمور كما هي الآن .

ياجو : والخير ما جرى . غير أن الرجل ثرثر ما شاء وطعنَ

طعنًا مُستَفْزِعًا في حق عليائكم بحيثُ أنني على قلة

تقواي لم أكد أُطِيقُ الصبر على ما يقول ...

لكن ألا يتفضل مولاي ويخبرني هل تمَّ القرآن ؟

إنَّ ذلك الشيخ الذي لقبه الشعب بالكريم محبوبٌ

حُبًّا جمًّا وله في المجلس صوت أقوى مرتين من صوت

الدوج ففي وسعِهِ أن يضطرَّكَ إلى الطلاق أو أن

يحول دون مرامك بكل المكاييد والمشاكسات

التي يستمدُّ أسبابها من القانون بما له من المقدرة

والبأس .

✱

عطيل : ليفعل ما يشاؤه حنَّقه . إن جلائلَ الخدم التي

خدمت بها هذه البلاد لأبلغ في الشفاعة لي من

شكاياته في الإضرار بي . . . وسيعلم القوم مني —

✱

عند ما يديح الشرف الافتخار — أننى سليل بيت

من البيوتات المالكة وأن أعمالى تتقف موقفها العالى

بجانب أعتى المناصب التى يبلغها بالتوفيق أمثالى .

واعلم يا ياجو أننى لولا شغفى بديدمونة التى سحرت

لبى لما رضيت بكنوز البحار بدلا من حريتى وبدأوتى

اللتين لا يحدّهما حد ثابت ولا تحصرهما دائرة

ضائقة . . . انظر انظر . . . ما تلك الأنوار القادمة

نحونا من هناك ؟

ياجو : هذا والدها استيقظ وجاء مع أقاربه . أولى لك أن

تدخل .

عطيل : كلا يجب أن يرونى بحقيقتى كما تُظهرها لهم أخلاقى

وألقابى وطهارة ذمتى . أظنهم إياهم ؟

✱ ياجو : يبين لى أن القوم غيرهم .

(يدخل كاسيو وبعض ضباط بمشاعل)

عطيل : خدم الدوج . . وملازمي . . طاب ليلكم يا أصدقائي
جميعاً . ما وراءكم ؟

كاسيو : الدوج يُهْدِي إليك تحياته ويرغبُ في حضورك
حالاً وألاً تبطئ عنه دقيقة واحدة .

عطيل : في أي شأن تظن ؟

كاسيو : إن صدق ظني فهو شأن مخصوص بقبرس ويظهر
أنه عاجل لأن السفائن أرسلت في هذا الليل
اثني عشر رائداً متتابعين وكثيراً من المستشارين
أوقظوا وهم الآن مجتمعون في حضرة الدوج وقد
التمسوك في منزلك بإلحاح فلما لم يجدوك بعثوا
ثلاثة أرهط^(١) من الجند للبحث عنك .

عطيل : من التوفيق أن تكون أنت الذي لقيتني سأدخلُ
هذا البيت مُهَلَّةً كلمة تقال ثم أصبحكم (يخرج)

كاسيو : حامل العلم ما يفعل القائد هنا ؟

ياجو : كأنني به غنم في هذه الليلة سفينة من السفن الكبرى

مشحونة بالخيرات فإذا أُقِرَّتْ له فقد أصاب الثروة
الخالدة .

كاسيو : لم أفهم ما تعنى .

ياجو : تزوج .

كاسيو : ممن ؟

ياجو : تزوج من ... (يدخل عطيل) هيا بنا أيها
القائد أنمضى ؟

عطيل : نمضى ولا عائق .

كاسيو : أرى جماعة أخرى قادمة فى طلبك .

ياجو : هذا برابنسيو . حذار أيها القائد . إنه لينوى شراً .

(يدخل برابنسيو ودريجو وضباط بمشاعل وأسلحة)

عطيل : قفوا هنا .

دريجو : هذا هو المغربى ياسيدى .

برابنسيو : أوقفوا به . هذا اللص .

ياجو : علىَّ بك يادرديجو . قرْنك^(١) أنا ياسيدى .

* عطيل : أَعْمِدُوا سِوْفَكُمْ اللامعة لِأَنَّ الندى يُنْزِلُ عَلَيْهَا
الصدأ... يا سيدى الجليل إن شيخوختك لأصالحُ
للأمر من سلاحك .

برابنسيو : أنت أيها السارق الخسيس ؟ أين أودعت ابنتى .
سحرتها يا رجل النار وأستشهد على جنايتك بأولى
الألباب . أكانت لولا السحر فتاة بتلك الرقة وذلك
الجمال . فتاة ناعمة كل النعيم .. آنفة من الزواج إلى
حد أنها لم ترض بواحد من أغنى وأجمل شبان أمتنا
بعلاً لها .. تتعرض للسخرية العامة بخروجها عن
وصاية أيها والتجائها إلى صدر أسود دهنى
كصدرك الذى يدعو إلى الخوف لا إلى السرور ؟
ليحكم الناس بيننا . أليس واضحاً وضوح البداة
أنك رقيتها برقى سيئة وأنك خدعت طفولتها
بعقاقير أو معادن تهيج الشهوة البدنية ؟ سأضع
هذه المسألة تحت البحث لأنها معقولة بل يأمسها
الفكر لمساً . فأنا قابض عليك إذن ومتهمك بإفساد

أخلاق العذارى وباستعمال صنائع محرمة وغير
مباحة قانوناً . خذوا بتلاييه . وإذا قاومكم
فأخضعوه وعليه نتائج ما يصيبه

عطيل : إثنوا أيديكم . لو رضيت القتال ما احتجت إلى داع
يدعوني إليه . إلى أين تريد أن أذهب للإجابة عما
تتهمني به ؟

برابنسيو : إلى السجن حتى ينقضى الزمن الذي عينه القانون
وسير القضاء فتسأل .

عطيل : إذا أطعتك فيما تريد فكيف أستطيع تلبية طلب
الدوج وهذه رسله بجانبى جاءت تدعوني إليه
لأمر ذى بال فى الحكومة .

ضابط أول : هذا حق يا أيها السيد الجليل . إن الدوج فى مفاوضة
وأنا واثق من أنه بعث فى استدعاء ذاتك الشريفة .
برابنسيو : أية مفاوضة يعقدها الدوج فى هذه الساعة من
الليل — سوقوه . إن مسألتى ليست من المسائل
التافهة — سيعامها الدوج نفسه وسائر إخوانى من

أركان الدولة ويشاطرونني غمي مما لحقَ بي من
 الإهانة كأنه لحقَ بهم أنفُسُهم وإلا فإنه لو أيسحَ
 ارتكابُ أمثال هذه الجرائم لأصبحَ الأرقاءُ
 والوثنيون أولياءَ الأمرِ فينا .

المشهد الثالث

في البندقية — رَدْهة المجلس

(الدوج جالسا إلى مائدة يحيط بها فريق من الأعيان
 وضباط يقومون بخدمتهم)

الدوج : ليس بين هذه الأنبياء من التشابه ما يُجيزُ
 تصديقها .

العين الأول: الأنبياء مختلفةٌ جدًّا في الحق وقد ورد في الكتب
 المرسلّة إلى أن سفنهم المحاربة سَبْعُمائة .

الدوج : وفي الكتب التي تلقيتها أن عددَ السفن مائة وأربعون .
 العين الثاني: ويُستفاد من أخباري أن السفن مائتان . غير أن
 الاختلاف هو في الرِّقْم — وفي مثل هذه الحالة

تُرْسَلُ الْأَنْبَاءُ تَقْدِيرًا وَتَحْمِينًا وَتَكْثُرُ التَّبَايِنَاتُ —
 أَمَّا الْحَقِيقَةُ الثَّابِتَةُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْمُرَاسَلَاتِ
 فَهِيَ أَنَّ هُنَاكَ أَسْطُولًا لِلْعَدُوِّ مُتَجَهًّا بِأَسْرَعَتِهِ
 نَحْوَ قَبْرِسَ .

الدَّوَجُ : نَعَمْ هَذَا مَا يَقُولُهُ الْعَقْلُ وَلَكِنْ هَذِهِ الْاِخْتِلَافَاتُ فِي
 الْعَدَدِ تَحْدُثُ عِنْدِي قَلَقًا وَرَيْبًا .

مَلَّاحُ (مِنْ الْخَارِجِ) : يَا هُوَ . يَا هُوَ . يَا مِنْ هُنَا .
 أَحَدُ الضَّبَاطِ : رَسُولٌ مِنَ السَّفِينِ .
 (يَدْخُلُ الْمَلَّاحُ)

الدَّوَجُ : مَا هُنَاكَ ؟

الْمَلَّاحُ : أَسْطُولُ الْعَدُوِّ يَنْتَحِي رُودَسَ وَهَذَا بَلَاغٌ مِنْ قَبْلِ
 السَّنِيُورِ أَتَجَلُّو .

الدَّوَجُ : مَا قَوْلُكُمْ فِي هَذَا الْاِتْقَالِ ؟

الْعَيْنُ الْأُولَى : لَا يُعْقَلُ لِأَدْنَى تَصَوُّرٍ . إِنْ هِيَ إِلَّا مُحَاوَلَةٌ
 وَمُغَالَاظَةٌ . إِذْ لَوْ تَبَصَّرْنَا فِيمَا لِقَبْرِسَ مِنَ الشَّأْنِ الْخَاصِّ
 عِنْدَ الْعَدُوِّ لَأَدْرَكْنَا مِنْ فُورِنَا أَنَّهُ إِنَّمَا يَقْصِدُهَا دُونَ

رودس لأنها أصلح وأسهل مأخذاً وليس فيها من
وسائل الدفاع والميرة ما في رودس وعلى هذا
لا يُقَدَفُ في رُوعِنَا^(١) أَنَّهُمْ يَخْطِئُونَ ذَلِكَ الْخَطَأَ
بتركهم قبرس ورأى هم على كونها تُهْمُهُمْ أولاً وأنها لهم
أفيد وإلى متناوَلهم أقرب ويندفعون إلى جزيرة
أخرى يَنْبَهُونَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا الْخَطَرُ وَلَا يَحْلُونَ^(٢) بِطَائِلِ
الدَّوَجِ : يَقِينًا لَا يَعْقِلُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ السَّفِينُ مَرْسَلَةً عَلَى
رودس .

(يدخل رسول)

الضابط الأول : هذه أخبار آخر .

الرسول : أيها السادة الأجلاء الكرام إن الأعداء اتجهوا إلى
رودس وعززوا أسطولهم بأسطول مساعد .

العين الثاني : هذا ما كنت أَقْدَرُهُ — كم تظن تعداد ذلك
الأسطول المساعد ؟

الرسول : يبلغ ثلاثين شراعاً ضموها إليهم والآن هم عائدون

(١) لا يداخلنا الظن . (٢) لا يستفيدون منها شيئاً يذكر .

ظاهرًا نحو قبرس . وهذا بلاغ من السنيور منتانو
خادمكم الباسل الأمين الذي يرفع إليكم تَجَلَّاتِهِ
ويرجو أن تصدَّقُوا بلاغه .

الدوج : تحقق إذن أن مقصدهم قبرس أليس فيها الآن
مركو لكسيكو ؟

العين الأول : هو الآن في فيورته .

الدوج : اكتبوا إليه من قِبَلِنَا وأرسلوا الأمر من الفور
بريداً يريد .

العين الثاني : هذان برابنسيو والمغربى الشجاع :

(يدخل برابنسيو وعطيل وياجو وردريجو وضباط)

الدوج : يجب علينا يا عطيل الباسل أن نستعين بك عاجلاً
على عدوِّ الوطن (إلى برابنسيو) لم أرك قبلاً أيها السيد
الشريف تحيةً وتكريماً . كنا في حاجةٍ إلى
مَشُورَتِكَ وإمدادِكَ في هذه الليلة .

برابنسيو : وأنا في حاجةٍ إلى مشورتكم وإمدادكم أيضاً . أستمع
من فضل سموكم حاملاً . إن الذي انتبذني من مرقدِي

لم يكن داعي منصبى وَلَا نبأ جاءنى عما نحن فيه .
 وليس هم المصلحة العامة همى الآن بل بى حزن خاص
 من تلك الأحزان المُجْتَاحَةِ المتغلّبة التى هى أشبه
 بالفيضان الجارف لكل ما يمرّ به . ذلك الحزن قد
 طغى على سائر شواغلي واستغرقها وبقي وحده
 مائتاً نفسى .

الدوج : ما ذلك الخطب ؟

برابنسيو : بنيتى بنيتى !

الدوج والأعيان : أ ماتت ؟

برابنسيو : ماتت عنى . خُدَعَتْ . سرقت منى . أفسدت برقى

وعقاير مُشْتَرَاةٍ من بعض الدجالين . وهل تستطيع

الفِطْرَةُ ما لم يغيرها السحرُ أن تكون بلهاء عمياء

حمقاء إلى ارتكاب مثل هذا الخطل^(١) ؟

الدوج : أيّا كان الذى استعان بمثل هذه الوسائل لاختطاف

كريمتك من نفسها ومنك فسيَلقى من القصاص أشدَّ

(١) إخطاء الرأى .

ما تُؤوِّل به نصوصُ قانون العقوبات الرهيب بما ندع
لكَ الرأى فى تأويله . نعم هكذا سيكون ولو أنَّ
الجانى هو ابننا بنفسه .

برابنسيو: شكراً لسموكم بكل خضوع . إن الرجل هو هذا
المغربى الذى سمعتُ أنك استدعيتَه الآن لبعض
أُمور الدولة .

الدوج والأعيان : إننا لآسفون أشد الأسف
الدوج : بِمَ تجيب دفاعاً عن نفسك .

برابنسيو: بلا شئ والحق ما ذكرتم

عطيل : يا أولى الاقتدار والرفعة والوقار سادتى الأجداد المديين

حقُّ أنى أخذتُ كريمة هذا الشيخ بحيلة . وحقُّ
أنى اقترنتُ بها . غير أنَّ ذنبى لا يتجاوزُ هذا القدر .

إنى خَشِنُ فى مقالى وغيرُ حاذقٍ فى صناعة المخاطبة
باللسان السامى العذب ذلكَ لأن هاتين الذراعين ،

منذ بلغتا مبلغَهُما للسنة السابعة بعد مولدى إلى

مبدأ التسعة الأهلة الأخيرة من عمرى ، لم تألفا من

الرياضة أجمل مما ألفتها منها حبال الفلوات المضروبة
 فيها الخيام وفيما عدا وقائع الحرب والجلاد لا أجد
 شيئاً ينطلق به لساني إلا اليسير من أحوال هذا
 العلم الواسع فإذا دافعت عن نفسي فلا قبل لي بتحلية
 الدفاع ولا خشية عليكم من تأثير محسناتي اللفظية
 ولهذا سأقص عليكم إن أذنتم بكلمات موجزة
 صريحة غير منمقة ولا مزدانة تاريخ غرامى وأذكر
 لكم آية العقاقير وآية الطلاس وآية المؤامرات
 استخدمتها لإغراء كريمته فتعلموا مبلغ تلك التهمة
 من الصحة .

برابنسيو: فتاة تعيش حبيبة هادئة خادرة تكاد تحمر خجلاً إذا
 أبدت حراكاً أتحالف طبعها وسنّها وأمتها ومنزلتها
 من الجاه بل كل مسوغ مشروع لتتعلق شخصاً
 كانت تهيب النظر إليه ؟ من قال إن السكّال يشذ
 هذا الشذوذ عن نواميس الطبيعة فهو أبتى الرأى
 ناقصه والذي تقضى به الضرورة لدى حدوث مثل

هذا الحادث أن يبحثَ عن علته في حيلةٍ من حيل
جهنم فأنا ما زلت مُصرّاً أن ذلك الرجل أثر فيها
بمزيجٍ فعّال في الدم أو بشرابٍ مرقٍّ لهذا الغرض .

الدوج : الإصرار ليس بالإثبات ولا بدّ لك من الاستشهاد
بوقائع أجلى وأدقّ من المزاعم العرَضِيَّة والتقديرَاتِ
السهلة التي تدل عليها هذه الظواهرُ المألوفة .

العين الثاني : ليتكلم عطيّل . هل اتخذت وسائلَ منحرفةً ذاتَ
تأثيرٍ شديد لتنفث في ضمير الفتاة السم وتملكها بها
أم تذرعت إليها بالاستعطافات والإلحاحات الجميلة
التي تناجي بها النفسُ النفسَ لتستميلها ؟

عطيّل : أبتهل إليكم أن ترسلوا في طلب السيدة من منزلي
بالشكنة ولتتكلّم عني بحضرة أبيها فإذا شهدت بشيء
تستقبحوه مني فلا تكتفوا بجرماني تقتكم وعزلي
من منصبي بل أوقعوا عقوبتكم على حياتي .

الدوج : لتستحضر ديدمونه .

عطيّل : حامل العلم اذهب وأدّلهم على مكانها (يخرج يا جو



وبعض الخدم) وفي انتظار قدومها سأقصُّ على
مسامعكم الشريفة قصةَ هذا الغرام الذي ملكتُ به
قلب تلك الحسنة وملكته به قلبي .

الدوج : اذكر لنا هذه السيرة يا عطيل .

عطيل : كان أبوها يحبني . وكان كثيراً ما يدعوني فيسألني

ترجمتي مفصلةً سنةً بسنةً وبيانَ المكافآت
والمحاصرات التي شهدتها وتعدد ما أحرزته من
النصّرات فكنت أجيبه إلى أمنيته حتى لم تبقَ في
حياتي كبيرةٌ ولا صغيرةٌ إلا حدثته بها وذلك منذ
نعومةٍ أظفاري إلى اليوم الذي كنت أجالسه فيه .

فما وصفته له الطواريء الرائعة والفواجعُ المبكية التي
لقيتها براً وبحراً من مثل ما جرى لي يوماً وقد
أوشكت أن أقتل في ثُلْمةٍ من ثُلُمَاتِ الحصار لولا
لطفُ من الله تداركني عن قيدِ شعرةٍ ، ومن مثل
استئساري يوماً لعدوٍ وقع باعني بيعَ الرقيق ، ومن
مثل شرائي رقبتي وضروب الغرائب التي صادقها

في أيامي . وكان في خلال إخباري بتلك الوقائع يدخل
 في كلامي تصويرُ مفاوزٍ فسيحةٍ وصحارى قاحلةٍ
 ومحاجرٍ كالحةٍ وصخورٍ وجبالٍ تسمخُ بقممها إلى
 العنان . كل هذه الأعراض كانت تمر تباعاً في أقوالى
 ناهيك بمشاهداتى لأكلة اللحوم البشرية ولأقوام
 أخر جعل الله رؤوسهم تحت أكتافهم . وكانت
 ديدمونه تسمع هذه الأقاصيص بشغف . سوى أن
 بعض مشاغل البيت كانت بين آن وآن تضطرها
 للقيام فإذا انصرفت لها قضتها بأسرع ما تستطيع
 وعادت تشربُ حديثى بأذن ظمأى . فلما لحت ذلك
 منها استدرجتها ذات يوم في ساعة مناسبة لتسألنى
 أن أقص عليها بالتمام سيرة رحلاتى التى كانت قد
 سمعت منها تنفأ ولم تتمكن من استتباعها فأعدت
 عليها تلك السيرة كما أرادت وكنت أراها غير مرة
 تبكى رحمةً لشبابى مما أصابنى فيه من الأرزاء الأليمة .
 وعندما ختمت قصتى كفاً اتى عليها بتهذاتٍ لا تحصى

وأقسمت أنها غريبة في الغاية وأنها محزنة إلى النهاية
بحيث تمننت لو لم تسمعها — على أنها قالت في بعض
ما قالت إنها كانت تود لو خلقها الله رجلاً على
هذا المثال ثم شكرت لي معروفى وكشفتني بأنه إذا
كان لي صديق يحبني فحسبي أن أعلمه كيف يقصُّ
ترجمة حياتي لترضى به قريباً . هذه العبارة جرأتني
فبحثُ لها بما في ضميري وعلمت منها أنها أحبتي
بسبب الأخطار التي عانيتُها وشعرتُ من نفسي أنني
أحيتها لما تبينتُ من شفقتها على ورقتها لي . ذلك
هو الفنُّ الوحيد الذي توصلت به إليها من أفانين
السحر . على أنها قادمة وستسمعون شهادتها .

(تدخل ديدمونه)

الدوج

: أعتقد أن قصة كهذه تستهوي بها ابنتي أيضاً . أيها
العزير براينسيو لا تنظرُ إلى هذه المسألة من حيث
تؤلمك . إن الرجال لأشدُّ دفاعاً عن أنفسهم
بأسلحتهم المحطمة منهم بأيديهم وهي خالية .

برابنسيو: أَلَمْ تَسْمَعْ أَن تَسْمَعُوا كَلَامَهَا . لتعترف أنها خطت نصف

الطريق والله شهيد أن ملامتي لا تقع بشدتها على

هذا الرجل . تقدمي أيتها الأنسة الجميلة أمدركة أنتِ

لمن من هؤلاء الجماعة الشرفاء يجب عليكِ الطاعة ؟

ديدمونه: يا والدي الشريف أجد هنا واجباً مقسوماً . أنا مدينة

لك بحياتي وتأديبي ومنهما أعرف قدر ما ينبغي لك

على من التجلّة وما زلت خليقاً بطاعتي لأنني لم أزل

سليمتك . غير أن هذا الرجل قريني وإني لمقرة بين

يديك أننى مدينة لهذا المغربي بمثل الطاعة التي

كانت تلييك بها أمي مؤثرة^(١) إياك على أبيها .

برابنسيو: عافاكم الله انتهيت . أرجو من سموكم أن يتحول

اهتمامنا إلى مصالح الحكومة . كان خيراً لي أن أتبنى

طفلاً ما من أن ألد هذه . ادن منها أيها المغربي .

أعطيك هنا عن رضا ما كنت لا أسمح لك به لو

لم تسبق إلى ملكه . لك فضل على يا جوهرتي

بسرور عظيم سررتُهُ الآن ، وهو أني لم أرزق
سواك من البنات لأن فرارك كان يضطرنى أن
أعاملهنَّ بقسوة المستبدين وأجعلَ في أعناقهنَّ
الجلال . انتهيت يا مولاي .

الدوج : دعنى أتكلمُ عنك وأذكرُ حِكْمَةً إذا عمل بها هذان
العاشقان تدرجا إلى رضاك . حيث بطلَ نفعُ الأدوية
زالت الآلام بزوال ما كان عالقا بتلك الأدوية من
الآمال . البكاء على ما فات محلبة لغيره من الآفات .
من عَجَزَ عَنْ استعادةٍ ما ذهبت به المقاديرُ فالأجدر
به أن يحول بصبره جدًّا المصاب إلى سخريةٍ
وَدُعَابٍ . الرجل الذى يُسْرِقُ فينتسم ينتقصُ
شيئاً من السارق ، أما الذى يَحْزَنُ بلا طائل فهو
سارق نفسه

✱

برابنسيو: إذن لندع الأعداء يغضبون منا قبرس ولا خسارة
علينا ما بقي فى استطاعتنا أن نبتسم . هذه حكمة
خفيفة المجرى على لسان من فى قلبه مثل ما فيها من

التسليّة ، أما الذي يحمل الألم والحكمة معاً فهو الذي يستعيرُ من الصبر ما يدفعه إلى الحزن . أمثال تلك الحكمة ، وفيها الحلو والصاب مجتمعين والقوة والضعف متجاذبين ، إنما هي كَلِمٌ ملتبساتٌ على أنّها ألفاظٌ ولسنٌ إلا ألفاظاً وما سمعت حتى الساعة بشفاء وصل من طريق الأذن إلى قلب جريح . لتكلم الآن في شؤون الدولة . هذا ابتهاجى إليكم بكل اتضاع .

الدوج : الأعداء متجهون بأسطول شديد القوة إلى قبرس . عطيل أنت أدرى يُجهد ما تستطيع تلك الجزيرة من المقاومة ومع أن لنا هنالك عاملاً ذكياً فيه الكفاية كُلُّ الكفاية لصياتها إلا أن المشورة التي لها القول الفصل في تحول الأحوال هي التي آثرتك وبك تجدُ مزيداً من الثقة فلا بدّ لك من أن تشوب بهجة فرحك بأخطار هذه الحملة وضوضائها .

عطيل : العادةُ وهى المستبدة قد استحكمت منى أيها الأعيان
 المتبصرون حتى جعلتُ مرقدَ الصخرِ والقولاذِ
 فى الحربِ أَلينَ لى من مرقدِ الزَّغَبِ الناعمِ . وإبنى
 لأشعرُ بسرورٍ طبعى وثَّابٍ لى مغامرةِ المحنِ
 القاسيةِ . فعلىَّ إذنَ تولى هذه الحربَ فى وجهِ
 الأعداءِ . وغايةُ ما ألتسهُ منكم مع الخضوعِ لعظيمِ
 اقتداركم أن تجعلوا خليلتى كفالةً لائقةً لمقامها
 فتمنحوها منزلاً وتُجرُّوا عليها رزقاً يكونانِ على
 مناسبة شرفها وعلوِّ مَحْتَدِهَا^(١) .

الدوج : لها أن تقيم عند والدها إذا رضيت .

برابنسيو : لا أرضى .

عطيل : ولا أنا .

ديدمونه : كذلك وأنا أستعفى صيانةً لوالدى من أن تُحْرِجَهُ

رؤيتى . أيها الدوج الرحيم تقبل منى دعاءً أَسْتَمْدُ بِهِ
 معونتك لجرأتى .

الدوج : ماذا تريدن يا ديدمونه ؟

ديدمونه : لقد أحبيت المغربى حباً يقضى علىَّ بالآأأأرقه فى

حياتى . أثبت ذلك بما تعرضت له من سوء الأأأأوة

والاستسلام للقدر وقلبى يُعِيننى على تحمُّل جميع

المتاعب التى يقضى بها علىَّ منصبُ هذا السيد الذى

وقفت روى وسعادتى على مجده وبسالته . فإذا

تركتمونى أيها السادة الأعزاء مقيمةً ههنا كالفراشة

فى أيام الصفاء على حين يذهبُ هو إلى الحرب

حرمتمونى إيفاء النذر الذى نذرتهُ لذلك الشرف

الذى من أجله أحبيته وسُمتُمونى عذاب هجر طويل

علىَّ مهما قصر ... فائذنوا لى بالسفر معه .

عطيل : إذناً بسفرها أيها السادة . أبتهل إليكم أن تجيئوها

إلى سوَّها والله يشهد أننى لا ألتمس لها هذا العناء

لمتاع نفسى وإخماد لواعج قلبنى . فقد شفيت سورته

الأولى ، ولكن لقضاء رغبته بحب وكرامة .

كما أننى أحشى معاليكم الطاهرة من أن تظنوا أننى

سأهملُ الأعمالَ الجديةَ الجسيمةَ المنوطةَ بي لأنَّ
 حليقتي تكونُ بجانبِي . لا لا . ولو أني استسلمتُ
 بغرام استسلاماً يَغشىَ بنعيمه حزمي وعزمي ويفسد
 للملداته قيامي بواجباتي لرضيتُ أن تأخذَ قعائد البيوت
 خُودَتي^(١) ليصطنعنَ منها طاسةً وأن يبارينني في
 شهرتي ومجدي الزعانفُ الذين يصحبهم النحسُ
 والجلُ فيظهرُوا عليَّ ويسبقُوني .

الدوج : ليكن من أمر حلّها أو ترحالها ماتريان أتما . الحاجة
 مائة والخطب يقتضي المبادرة .

العين الأولى : ينبغي أن تسافر الليلة .

عطيل : بكل ارتياح .

الدوج : سنجتمع ههنا الساعة التاسعة صباحاً فاستبق يا عطيل
 واحداً من ضباطك ليحملَ إليك غداً تكاليفنا
 ومرسوماتِ تنصيبك وتلقيبك .

عطيل : إذا حسُنَ لدى مَرَحمتكم أَسْتَبْقِي حاملَ عَامي . هو

رجل أمين نزيه وإليه ساعده في إحضار امرأتى
وحمل ما تشاء مرحمتكم إرساله إلى .

الدوج : ذلك إليك . طاب ليلكم جميعاً (إلى رابنسيو) أيها
السيد الشريف إذا صحَّ أن الفضيلة لا تخلو قط من
جمال خلاب فصهرك أجمل بكثير مما هو أسود .
العين الثاني : صحبتك السلامة أيها المغربي الباسل أحسن معاملة
ديدمونه .

رابنسيو : اسهر يا مغربي إذا كانت لك عينان ترى بهما .
إنها خدعت أباهما وقد تخدعك أيضاً .

(يخرج الدوج والأعيان والضباط إلخ)

عطيل : أنا أضمن أمانتها بحياتي . أي ياجو التزيه إنى مضطر
أن أدع لك ديدمونه وأرجو أن توصي امرأتك
بمنحها ما ينبغي من الخدم وعليك أنت أن توصيها
إلى الجزيرة في أحسن ما استطاع . تعالى يا ديدمونه
لم تبق لي إلا ساعة نخلو بها للوداع وتدير شؤون
رحلتنا الوقت حاكم لا بد من طاعته .

(يخرج عطيل وديدمونه)

ردريجو : يا جو .

يا جو : ماذا تقول يا ذا القلب النبيل .

ردريجو : أى شئ تظننى أتمناه الآن

يا جو : لا جرّم أن تتمنى الذهاب إلى السرير والرقاد .

ردريجو : سأذهب لإلقاء نقسى فى البحر حالاً

يا جو : إذا فعلتها لم أحببك بعد الآن أتفعلها أيها الشريف

الأبله .

ردريجو : البلاهة أن نعيش حيث العيش ألم وأنجع دواء

هو الموت حيث يكون الموت هو الطيب .

يا جو : ياله من جبن ! لقد بلغت الثامنة والعشرين من سننى

ومنذ طفقتُ أتبين الإساءة من الإحسان لم أجد

رجلاً يحب نفسه حق الحب . أنا قبل أن أعزم على

الهلاك غرقاً لهيامى فى دجاجةٍ ما ، أوثر أن أتحوّل

من رجل إلى قرد .

ردريجو : ما فى وسعنى أن أعمل . أعترف أن العشق وقد بلغ

هذه الغاية عارٌ على ولكنّه ليس فى طاقتى أن

أستشفى منه .



ياجو : الطاقة ؟ ما معنى الطاقة ؟ نحن الذين يرادتنا نكون
 كذا أو كذا . أجسامنا حداثتنا ومشيتنا باستانيوها
 بحيث لو عَنَّا لَنَا أَنْ نَزْرِعَ فِيهَا صَنَفًا دُونَ آخِرٍ أَوْ
 نَسْتَبْتِهَا عُشْبًا أَوْ نَنْزِعَ غَيْرَهُ أَوْ نَحْدُمَهَا فَتَخْصِبَ
 أَوْ نَهْمَلَهَا فَتُحْلِلَ فِي مَشِيئَاتِنَا مِنَ السُّلْطَةِ مَا يَكْفِي
 لِإِعْدَادِهَا وَتَنْقِيجِهَا عَلَى حَدِّ مَا نَشْتَهِي . ثُمَّ إِنَّهُ لَوْ لَمْ
 تَكُنْ فِي مِيزَانِ أَعْمَارِنَا كِفَّةٌ مِنَ الْعَقْلِ لِمَعَادِلَةِ كِفَّةِ
 الشَّهْوَةِ لَكَانَتْ خِصَّةً طَبَائِعِنَا تَدْفَعُنَا إِلَى أَوْخَمِ
 الْعَوَاقِبِ . غَيْرَ أَنَّنَا رَزَقْنَا الْعَقْلَ لِإِخْلَادِ ثَوْرَةِ غَضَبِنَا
 وَتَسْكِينِ لَوَاعِجِ أَمَانِنَا الْبَدَنِيَّةِ وَكَبْحِ شَهْوَاتِنَا الَّتِي لَا
 لُجْمَ لَهَا وَمَا تَقْدُمُ اسْتِنْتِجَ أَنْ الذِّي تَسْمُونَهُ حُبًّا إِنْ هُوَ
 إِلَّا فُسَيْلَةٌ ^(١) كَسَائِرِ الْفَسَائِلِ أَوْ فَرْعٌ كَسَائِرِ الْفُرُوعِ .
 رَدْرِيجُو : غَيْرَ مَعْقُولٍ أَنْ يَكُونَ الْحُبُّ هَكَذَا .
 ياجو : بَلْ قَلَّ هُوَ — وَمَا يَزِيدُ عَمَّا أَعْرَفَهُ بِهِ — مَطْمَعٌ مِنَ الدَّمِ
 وَإِذْنٌ مِنَ الْإِرَادَةِ . تَنْبَهُ وَكُنْ رَجُلًا . أَتَغْرِقُ نَفْسَكَ .

غرق في بعض الهرر أو بعض الكلاب الصغيرة
 العمياء. لقد أبديت لك صداقتي وأجاهرك أنني
 مشدود إلى كرائم خلائك بحبال متينة خالدة ولم
 يكن قط في وسعي أن أخدمك كخدمتي إياك الآن.
 ضع نقوداً في جيبيك واتبعنا إلى دار الحرب مخفياً
 وجهك وراء حلية مستعارة. ضع نقوداً في جيبيك،
 نصيحة مني لك إذ لا يُحتمل أن تستمر ديدمونه على
 حبها للمغربى. ضع نقوداً في جيبيك.. ولا يحتمل أيضاً
 أنه هو سيستمر على شغفه بها طويلاً ذلك بأن
 البدأة العنيفة في مثل هذا الاتصال يعقبها الانقسام
 العنيف.. ضع نقوداً في جيبيك ولا تكلف نفسك
 غير هذا العناء.. إن هؤلاء المغاربة لتقبلون في
 أهوائهم.. املاً جيبيك نقوداً. فإن الطعام الذي
 يحده الساعة شهياً كالأناس سيصبح في فمه مُراً
 كالعلقم. وأيضاً هي فإنها ستبتغي منه بدلاً أنضر
 عوداً، وعند ما تشبع من رسمه تنبه لسوء اختيارها

وتريدُ التغيير . . . حتماً . . . على هذا ضَعِ تقوداً في
جيبك . . . وإن كنت مصرّاً على التهلكة بلا محيصٍ
فالتمس شيئاً أقلَّ فظاعةً من الغرق . . . اجمع ما تستطيعه
من النقود . . . فإذا لم تكن قدسيةُ الزواج وضعفُ
اليمين التي يرتبط بها بربريٌ شريدٌ ورفيقةٌ من نواعم
البندقية أمرين فوق المكايد التي يفتقها فكري
وفوق جميع القوى الجهنمية فإنك لا محالة متمتع
بها : إذن هي تقوداً . . . أغرق نفسك ؟ ! بئس
هذا الرأي من رأى خائب . انبذه وفضل أن
تشق وقد قضيت مأربك على الغرق الذي يُقصيك
عن هذه الدنيا وفي نفسك تلك الحسرة .

ردريجو : أتنشطُ بلا مللٍ ولا انحرافٍ لتحقيق آمالي إذا
عزمت على هذا السفر .

ياجو : أنت على ثقة مني . اذهب وأعدِّ تقوداً . قلت لك
مراراً وأعيد عليك قولي تكراراً إنني أكره ذلك
المغربى وبغضى له متأصلٌ في فؤادي كما هو متأصلٌ

فِي فَوَادِكْ فَلْنَجْمَعْ ثَأْرَيْنَا وَإِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَدْنِسَ
عَرِصَهُ كَانَ ذَلِكَ لَكَ سُرُورًا وَكَانَ لِي تَفْكُهُ . الْيَأْلَى
يَحْمِلُنْ كَثِيرًا مِنْ الْخَوَادِثِ وَسِيلِدْنَهَا . إِلَى الْأَمَامِ
إِلَى الْأَمَامِ . اذْهَبْ وَاجْلِبْ تَقُودًا ثُمَّ نَسْتَأْنِفِ
الْمُفَاوِضَةَ غَدًا أَسْتُودِعُكَ اللَّهَ .

ردريجو : أَيْنَ نَلْتَقِي غَدًا صَبَاحًا .

ياجو : فِي مَنْزِلِي .

ردريجو : سَأَذْهَبُ إِلَيْكَ مَبْكَرًا .

ياجو : حِينَ تَشَاءُ . إِلَى الْمَلْتَقَى . . أَسَمِعْتَ ؟

ردريجو : مَاذَا تَقُولُ ؟

ياجو : أَقُولُ إِيَّاكَ وَالْغَرَقَ .

ردريجو : غَيْرَتِ عَزْمِي وَسَأُيِّعُ جَمِيعَ أَمْلَاكِي .

ياجو : اذْهَبْ مُوَفَّقًا وَضَعْ تَقُودًا كَافِيَةً فِي جَيْبِكَ (يَخْرُجُ

ردريجو) بِهَذِهِ الْحِيلَةِ وَبِأَمْثَالِهَا جَعَلْتُ هَذَا الْأَحْمَقَ

مَوْضِعَ جَيْبِي وَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ لَانْتَقَصَتْ التَّجَارِبُ الَّتِي

اِكْتَسَبْتُهَا إِذْ لَا مَعْنَى لِلْإِضَاعَةِ وَقَتِي مَعَ مِثْلِ هَذَا

الْفَرَخِ الرُّومِيِّ مَا لَمْ أُسْتَفِدْ مِنْهُ تَسْلِيَةً وَمَالًا . أَنَا أَمَقْتُ

المغربي ويظن الجمهور أنه أعلى منصب من تحت
 لحافى على أننى لا أعلم إن كان هذا الظن صحيحاً
 ولكن الوهم فى مثل هذا يكفى عندى للحلول محل
 الحقيقة . الرجل يحترمنى واحترامه إياى يزيدنى
 رجاءً بإفلاح مكايدي ... أما كاسيو فهو شاب جميل
 لنفكر فى أمره هنيهة .. ما العمل للحصول على منصبه
 بحيث أكون قد أصبت رأسين عن رمية واحدة
 من رميات غدرى ؟ أية الحيل أفضل ؟ لنفكر قليلاً .
 خير وسيلة فيما أظن أن آخذ بمخادعة أذن عطيل
 فالقى فيها كلمة بمعنى أن كاسيو شديد التقرب من
 امرأته . على أن شكل كاسيو وحسن أدبه يرييان ،
 وقد خلق لإغواء الغوانى . ولما كان المغربى صريح
 الضمير بين الطوية يعتقد النزاهة فى كل من يرى عليه
 ملامحها كان من الميسور لى أن أقتاده من أفضه كما
 يُقتاد الحمار . هذه مكيدتى ظفرتُ بها ...
 فَلَيْسَ بَوَلَدُهَا صَلْبُ الظَّلَامِ مِنْ بطنِ جَهَنَّمَ خَلْقًا شَادًّا
 إِذَا طَلَعَ عَلَيْهِ النَّهَارُ ظَهَرَ فُظِيْعًا رَهِيْبًا .

الفصل الثاني

المشهد الأول

مرفأ في قبرس ورواق

(يدخل منتانو ووجهان)

منتانو : ماذا تتبين في البحر من جهة الرأس ؟

أحد الحاضرين : لا أتبين شيئاً . البحر مضطرب جداً ولا أستطيع أن أرى شراعاً بين السماء والماء .

منتانو : أجد أن الريح قد أزعجت الأرض ولا أظن أن

إعصاراً كان أشدَّ على حصوننا ومُمتَنَعَاتِنَا من هذا

الإعصار على أنه إذا كان هذا ما فعله في البحر فأيةُ

الأشجار استطاعت أن تبقى في منابتها عند ما

تحاذفتُ عليها جبالُ الأمواج . أيُّ شيء سيجيئنا

من أخبار هذه العاصفة .

الوجيه الثاني : تفرق أسطول الأعداء . انظر من الشاطئ

المضطرب ترّ الأمواج الشائرة كأنها واثبة لتضرب
السحاب بل كأنها هاجمة بُعْفراتها^(١) الرائعة
المتعالية لتلقى ماءً على النار المتقدة في نجوم الدُّب
ولتطفئ تلك الثوابت من حراس القطب . ما رأيت
عمرى غَضَبَةً للبحر الهائج كهذه الغضبة .

متنانو : إذا كان أسطول العدو لم يلجأ إلى الموانئ فإنه لغريق
وتستحيل عليه المقاومة . (يدخل وجيه ثالث)

الوجيه الثالث : أخبار جديدة يا أولادى . انتهت الحرب لأن
هذه العاصفة الجموح تركت أساطيل الأعداء مكسورة
الأجنحة وقد رأى غرقها وتحطمها مركبٌ قادم
من البندقية .

متنانو : يا للعجب أصدق ما تقول ؟

الوجيه الثالث : المركب قد دخل المرفأ ونزل منه فيرونى^(٢) يدعى
ميشيل كاسيو . هو ملازم المغربى الباسل عطيل .

(١) لبّات الأسود .

(٢) نسبة إلى مدينة فيرونا بإيطاليا

ومن قوله إن عطيلًا في العباب الآن وإنه مُوفد إلينا
ليكون أمرًا مطلقًا في قبرس .

متنانو : أنا مسرور به لأنه حاكم جدير بهذا المقام .
الوجيه الثالث : غير أن كاسيو هذا على ما جاءنا به من الأنباء
الطيبة عما حلّ بالأعداء لا يبدو عليه الارتياح بل هو
كئيب يدعو الله لنجاة المغربي لأن العاصفة بشدتها
فرقت بينهما .

متنانو : لنضرعُ إلى الله أن يُسَّمه فقد خدمتُ تحت إمرته
وهو قائد لا عيب فيه . هلمَّ إل الشاطئ لنرى
الركب الذي وصل ونزقبَ بأعيننا مقدّم عطيل .
ولنلبثُ ناظرين من موقفنا حتى تختلطَ في أبصارنا
خضرة البحر وزرقة الهواء .

الوجيه الثالث : لنفعل ذلك فإنه يرجى في كل دقيقة طروق فوج
من الوافدين . (يدخل كاسيو)

كاسيو : حمدًا لك أيها الباسل حاكم هذه الجزيرة لذكرك

المغربىَّ بمثل هذا المديح . لعلَّ الله يقيه فقد ضلَّتْ
عنه في بحرٍ زاخر بالأخطار .

متنانو : أتقول سفينتهُ صالحة للمقاومة ؟

كاسيو : سفينته متينة البناء ودليله ملاحٌ مشهودٌ له بالمهارة
لهذا لم يضعف أمله بمجيئه .

صوت (من الخارج) : شرع . شرع . شرع .

كاسيو : ما هذا النداء ؟

الوجيه الرابع : خلتُ المدينة من أهلها وجميعهم على الشاطئ
يصيحون هذا شرع .

كاسيو : قلبي يحدثني بأن هذا مجيء الحاكم (قصة مدفع)

الوجيه الثانى : تلك قصَفَاتُ وداد فلا بدَّ أن القادمين من أوليانا .

كاسيو : هلا ذهبت يا سيدى فأخبرتنا من القادمون ؟

الوجيه الثانى : أنا ذاهب

متنانو : أقائدك متزوج أيها الملازم الكريم .

كاسيو : صادفتهُ العناية فملك قلب فتاة لا يحيط بحماها الوصف

حتى ولا المبالغة . فتاةٌ تفوق بحاسنها الفطرية أبرعَ

ما يتخيله الكاتبون وأبداع ما يصوره المصورون .

(يعود الوجه الثاني)

كاسيو : بشرنا من دخل المرفأ ؟

الوجه الثاني : رجل يدعى ياجو حامل علم القائد .

كاسيو : وُفق في سفره وسبق الأوان . فلا ريب أن العواصف

نفسها ، والبحار الثائرة ، والرياح الزائرة ، والصخور

التي تعترضها الأمواج والرمال المتراكمة الخائنة التي

تصيد المركب البريء قد داخلها شبه رقة للجمال

فتحوّلت عن طبائعها المهلكة ، لتفسح سبيلاً أميناً

تمرّ منها ديدمونه .

متناو : من هذه الإنسانية ؟

كاسيو : هي التي كنت أذكرها لك ، هي قائدة قائدنا العظيم .

جاءت يرعى طريقها الباسل ياجو الذي وصل بها قبل

الموعّد بسبعة أيام . أيها المشتري الأ كبرمالك البحر

أيّد عطيلاً واملاً شراعه بنسَمَتِكَ القديرة ليشرّف

هذا المرفأ بزيارة مركبه الجميل ولينعم بقرب ديدمونه

وليدكِ في قلوبنا ما خبا من ضرم الشجاعة ولينح
قبرس الأمن والسكون .

(تدخل ديدمونه وإميليا وياجو ودريجو وبعض الأتباع)

كاسيو : انظروا هذه كنوزُ المركب قد نزلت إلى البرّ .
يا سكان قبرس سجدواً لديها . تحية وسلاماً أيتها
السيدة وَلْتَحِطْ بِكِ النعمُ من كل جانب .

ديدمونه : شكراً لك يا كاسيو المقدام . ما عندك من أخبار سنيدي؟
كاسيو : لم يصل بعد ولكنهُ بخير فيما أعتقد . وسيكون ههنا
عما قليل .

ديدمونه : أواه . أنا خائفة . كيف لا تكون مصاحبة ؟
كاسيو : فرقت بيننا مكافئةُ الماء والسماء . لكن سمعاً هذا
شراع .

(صوت من الخارج) : شراع (قصفة مدفع)

الوجيه الثاني : قصفات تحية للقلعة هؤلاء هم أيضاً أصدقاء .

كاسيو : وافنا بالنبأ (يخرج الوجهه) يا حامل العلم الكريم
مرحباً بك (إلى إميليا) وأهلاً بك أيتها السيدة .

يا صديقي يا جو . لا تحقّ إذا تماديت في مجاملي
لامرأتك فإن الأدب الذي رُيت عليه هو الذي
يحملني على تجاوز اللائق (يقبل إميليا)

يا جو : لو أعطتك من شفيتها مقدار ما تعطيني من لسانها
لا كتفيت سريعاً .

ديدمونه : أسفى عليها لقلّ ما تتكلم .

يا جو : بل وذهمتي إنها لتكلم فوق الكفاية . أشعر بذلك
كلما جاءت ساعة الرقاد . لا جرم أنها في حضرتك
الآن تضع شيئاً من لسانها في قلبها ولكنها تختصمني
في فكرها .

إميليا : لا سبب يدعوك لمثل هذا اللمز .

✱ يا جو : كيف لا ؟ كيف لا ؟ وأنتن النساء حور حين تكن
خارج البيوت وأجراس حين تكن في الخدور ،
وهير ريرة في المطابخ . وقيدسات حين تتصدين
لإهانة أحد ، وشياطين حين يجروا أحد على تكدير كن
وبواهل عواطل حين تجب خدمة المنزل ونشيطات

مشتغلات بأمور المنزل حين تدخلن الأسرة .

ديدمونه : وَيَحْ لَكَ مِنْ نَام . .

ياجو : لست بنام ، هي الحقيقة أو أتسب لأعداء بلادى
إنكن إن تهضن فلتنزهن أو تدخلن الأسرة

فلاشتغال بمسائل البيوت

إميليا : لو ابتغيتُ مادحاً لما استعنت بك .

ياجو : أولى لكِ ثم أولى !

ديدمونه : ولو كلفت بمدحى ما تقول ؟

ياجو : يا أيتها السيدة الشائقة لا تكلفينى عملاً كهذا لأنك

إن طلبت منى غير الهجو صيرتنى إلى عدم .

ديدمونه : خالف طبعك وجرب . أذهب أحد إلى الميناء ؟

ياجو : نعم ياسيدتى .

ديدمونه : لست منشرة الصدر لكننى أخادع حالةً بضدها .

أجبنى كيف تمتدحنى . . . ؟

ياجو : أفكر فى ذلك فما أجد فكرى ينطلق من يافوخى

إلا وهو منتزع دماغى وسائر ما هناك كما يفعل الغراء

بالوَبَرِ الطويل وقد علق به غير أنه إذا كان لا بد
 لقريحتي أن تتمخض فهذا ما تلده: «إذا كانت المرأة
 جميلة وذكية فجعلها لخدمة الآخرين وذكائها
 لاستخدام الجمال» .

ديدمونه : أحسنت فإذا كانت المرأة سوداء وذكية .

ياجو : إذا كانت المرأة سوداء وذكية وجدت رجلاً أبيض
 لا يرى سوادها سواداً .

ديدمونه : انتقلنا إلى أقبح مما سبق .

إميليا : فإذا كانت جميلة وحمقاء .

ياجو : لا حماقة مع الجمال لأن الجمال يُعِينُهَا على إيجاد
 وارث لها .

ديدمونه : هذه سفاسفٌ قديمةٌ قيلت لإضحاك البلهاء في الحمارات

فإن استزدنا فأى شيء تقول في البشعة الحمقاء ؟

ياجو : مهما تكن بشعة وحمقاء فإنها ترتكب من الغوايات

ما ترتكبه الحسنة الفطنة .

ديدمونه : ما أكثف هذا الجهل ! تصف أقبح النساء

بأحسن ما عندك . والآن كاشفنا برأيك في امرأة
فاضلة واثقة من شرف خلاها بحيث لا تخشى اللوم
ولا التريب

ياجو : المرأة التي عاشت جميلة ولم تكبر ، التي لزمته حد
الكلام الحر في مناسباته ولم تجاوزه إلى الطنطنة ، التي
توفر الذهب بين يديها ولم يطش قلبها ، التي استمالها
الغرام فلم تميل وهي قائلة في نفسها لو شئت
لاستطعت ، التي غيظت وملكت الانتقام
فأسكتت غيظها وساحت في ألمها ، التي لم تضعف
عندها الحكمة حتى ترضى بذنب كلب البحر بديلاً
من رأس المرجانة ، التي ذكافكرها ولكنها لم تنجبه
به إلى كشف محاسن نفسها ، التي لمحت المحبين
يهرعون وراءها ولم تلتفت . تلك إنسانة لو وجدت
ومثلها لا يوجد . . .

ديدمونه : لو تسنى وجود تلك الموصوفة فما تقول فيها ؟

ياجو : أقول إنها كانت أصلح النساء لإطعام الأغنياء وتدير حسابات الفنادق .

ديدمونه : بئست النتيجة العرجاء الكسيحة . لا تتعلمي منه هذا العلم يا إميليا ولو أنه قرينك . ما رأيك فيه يا كاسيو أليس هجاء شديد الاستباحة عن غير خبرة .

كاسيو : يتكلم بلا تصنع ياسيدتي ولكنه يعجبك بسيفه أكثر مما يعجبك بلسانه .

ياجو (على حدة) : وضع يده في يدها . أحسنت أحسنت . ناجها همساً . متى وجدت مضيئة من نسيج العنكبوت رقيقة كهذه الحاشية لم يصعب عليّ أن آخذ بها ذبابة لو بلغ حجمها حجم كاسيو . نعم ابتسمي له . تمتع . سأصيدك بليوننة أدبك . كل ما تقوله صحيح . . . بلا ريب وذمتي . كان خيراً لك وأنت عازم على استبقاء منصبك ألا تجعل أصابعك الثلاثة في فمك توسعها ثقيلاً لترى

الحسناء أنك شاب جميل . . . أحسنت . هكذا
 ثم الأصابع . ما ألطف هذه المجاملة . . في الغاية
 في الغاية . . ما هذا ؟ أتعيد أصابعك إلى فك
 مرة أخرى ؟ ما أشوقني لرؤية تلك الأصابع تتحول
 عند حاجتك إلى أناييب محقنة . (يسمع بوق عسكري)
 لقد جاء المغربي عرفت بوقه .

كاسيو : نعم هو هو^(١) .

ديدمونه : بدار للملاقاة .

كاسيو : بل قد أقبل (يدخل عطيل ورهط من أتباعه)

عطيل : يا حبيبتى الشجاعة .

ديدمونه : يا حبيبي عطيلاً .

عطيل : لا يعادلُ سرورى بلقائك إلا إعجابى بأن أراك

تقدمتنى يا بهجة حياتى . لو كانت جميعُ العواصف

تنتهى إلى مثل هذا الصفاء فليت الرياح تزار حتى

توقظ الموتى وليت قُلُوبى وهى تعاندُ المعاطب ترتفعُ

بها جبالُ من الأمواج عالية كالأولمبس^(٢) ثم تنحدر

(١) هذه الهاء توضع للوقف . (٢) اسم جبل شهير ببلاد اليونان .

بها إلى الحضيض البعيد بُعْدَ جهنم عن السماء ! أما
والذى بيده نفسى لوددت أن أموت الآن من فرط
ما أنا فيه من السعادة المطلقة التى أخشى ألا يعاودنى
مثلها فى المستقبل المجهول !

ديدمونه : أعفانا الله من أن يُنْتَقَصَ حُبُّنا وهناؤنا قبل أن
يحين أجلنا

عطيل : أجيب بآمين على هذا الدعاء يا أيتها السماوات الرحيمة
لا أستطيع الإفصاح عما أنا فيه من الغبطة كما أتمنى .
يكاد السرور لشدة يقطع على أنفاسى . لتكن هذه
القبل (يقبلها) غاية ما يبلغه قلبانا من الخصاص
والشقاق .

ياجو : أتما الآن على أتم اتفاق ولكن أقسم بنزاهتى إلا
ما أرخيت الأوتار التى تخرج هذه النغمات المؤتلفة .
عطيل : هلم بنا إلى القصر ، أنا حامل إليكم بشرى يا أصحابى .
اتمت حروبنا بغرق الأعداء ، كيف حال الذين
عرفناهم قبلاً من أهل هذه الجزيرة ؟ أى حبيبتى

سَيَقِيمُونَ لَكَ أَفْرَاحًا عَظِيمَةً فِي قَبْرِسٍ وَلِي عِنْدَ
 سَاكِنِيهَا مَوَدَّةً أَعْتَدُ بِهَا ، أَي حَبِيبَتِي إِنِّي أَكْثَرُ
 مِنَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ مَا يَجِبُ وَأَكَادُ أَهْدَى مِنْ وَفْرَةٍ
 ابْتِهَاجِي ، أَرْغَبُ إِلَيْكَ يَا أَمِينِي يَا جَوْ أَنْ تَذْهَبَ
 إِلَى الْمَرْفَأِ وَتَحْمِلَ إِلَيَّ أَشْيَاءِي ثُمَّ أَدْعُ رَئِيسَ الْمَلَّاحِينَ
 إِلَى الْقَلْعَةِ فَهُوَ ذُو بَرَاعَةٍ تَوْجِبُ لَهُ الْإِكْرَامَ . تَعَالَى
 يَا دِيدَمُونَهُ ، عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ نَزُولُكَ فِي قَبْرِسٍ .
 (يَخْرُجُ عَطِيلٌ وَدِيدَمُونَهُ)

يَا جَوْ (مُخَاطَبًا رَدْرِيجُو) : اصْحَبْنِي حَالًا إِلَى الْمَرْفَأِ . تَقَدَّمَ إِنْ كُنْتَ
 شَجَاعًا ، يَزْعُمُونَ أَنَّ سِفْلَةَ النَّاسِ مَتَى عَشِقُوا اكْتَسَبُوا
 مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ مَا يَفُوقُ فِطْرَتَهُمْ ، فَأَصْنَعْ إِلَيَّ :
 الْمَلَاظِمَ يَسْهَرُ اللَّيْلَةَ بَيْنَ الْحَرَسِ وَاعْلَمْ أَنَّ دِيدَمُونَهُ
 مَغْرَمَةٌ مُتِيمَةٌ بِهِ .

رَدْرِيجُو : مَغْرَمَةٌ بِهِ ؟ هَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ .

يَا جَوْ : أَقْضِلْ شَفِيتِكَ يَا صَبْعُكَ هَكَذَا وَتَعْلَمْ . . أَلَمْ تَلْمَحْ بِأَيَّةِ
 قُوَّةٍ أَحْبَبْتَ الْمَغْرِبِيَّ ابْتِدَاءً وَذَلِكَ لِمَفَاخِرَاتِهِ وَالْأَكَاذِيبِ

الوهمية التي قصها عليها ؟ أتراها تحبه أبداً لأمثال
هذه الثمرات ؟ ستتوق عينها إلى منظر جميل وأى
شعاع تجده حينئذ برؤية ذلك الشيطان . متى برُد
الدم بعد جهد المداعبة الغرامية كان لا بدَّ لإيقاده
ثانية ولإدخال جُوع جديد على الشَّبَع من جاذِب
في الملامح ، وتناسب بين العمرين ، وتوافق في
العادات ، وتشاكل في المحاسن ، والمغربى خُلُو
من هذه الأشياء وأمثالها ، فأمّا وهذه المشوّقات
مفقودة منه فمن المحقق أن تلك النفس الرقيقة
سترى كيف خدعها ولا تلبث أن يأخذها الفواق^(١)
تَقَرَّازاً^(٢) منه ، وأن تقلّاه وتُبغِضه حينئذٍ تندفع
بدافع الطبيعة إلى رجل آخر تؤثره . فإذا ثبت هذا
ياسيدى وهو تقدير بديهي لا شبهة فيه بقى أن الرجل
الذى فى طريق السعادة إنما هو كاسيو ذلك الضحكة
العشاق الذى لا يتسع ضميره لأكثر من تزويق

(١) الفواق تعرفه العامة بالظغطة . (٢) استنكاراً واحتقاراً .

شكله بمظاهر الأدب والحشمة يخفى بها ما تحتها من
 أهوائه الفاسدة المنحرفة . وأيمُ الحق إنه لفي أحسن
 جاذبة^(١) تبلغه هذه الغاية خصوصاً مع ما هو عليه
 من اللئونة والتلطّف لمقاصده ومن التعود على أتهاز
 القرص السانحة التي ربما خلقها بدقة نظره ورشاقة
 حيلته فهو هُزأة رجيم وفوق ذلك شاب وجيل إلى
 سائر الصفات التي تختبئ بها ألبابُ مجنونات الغرام
 ثم إنه يتصل كالمرض المُعدى وحسبك منه أن
 المرأة قد لمحتة .

Desdemonia
 ردريجو : لا أصدق ما تدعيه لأنها ميالة إلى الفضيلة كل الميل
 ياجو : كفى عن فضيلتها وأكلمك عن أذُنابِ التين . لو
 كانت كما تتوهم لما أحبت المغربي . بل إن بها صلاحاً
 ولكنه صلاح القطعة من حلوى البودنج . ألم ترها
 لاعبة بمقبض يده ، ألم ترها ؟

ردريجو : بلى رأيها غير أنها مجاملة لا شبهة معها .

ياجو : قسماً يبدى لا مجاملة ، ولكن مغازلة . لم تكن
 السبابة^(١) أول الدهر إلا المستهيلة^(٢) الخفية لتاريخ
 الأفكار الأثيمة والمحرمات الشهوية . أو شك ثغراها
 أن يلتقيا وتلاثم نفساهما . ذلك من ضروب الشروع
 في الجريمة ياردريجو ، وأمثال هذه المجاملات متى
 افتتحت السير ففي العادة أن يتبعها القائد ومعظم
 الجند على الأثر والعاقبة الالتحام . خلّ عنك هذا
 يا سيدي ودعني أقدك بما أنى أحضرتك من
 البندقية . كن في عَسَس^(٣) هذا الليل وسأسرُ إليك
 الشعار^(٤) . كاسيو لا يعرفك وأنا أكون قريباً منك .
 استنبط وسيلة لإغضاب كاسيو سواءً بمخاطبته جهراً
 أم بالسخرية من نظامه أو بأي سبب آخر تختاره
 والأسباب ستكون متوافرة في تلك الساعة .

ردريجو : سأفعل .

(١) ثمانية الأصابع بعد الإبهام . (٢) المفتحة . (٣) حرس .

(٤) سأقول لك كلمة المرور في المواقع العسكرية .

ياجو : إنه ياسيدى غضوبٌ وله مفاجآت فى كدره وربما
ضربك . . حرّكه حتى يفعل وعندئذٍ أنتهز الفرصة
أنا لإثارة فتنة بين شعب قبرس تكون خاتمتها لا محالة
عزل كاسيو وهكذا يُختصرُ سفرُك إلى غايته بما
أكيده من المكاييد لتحقيق هذه الأمنية ويزولُ
من وجهك هذا الحائلُ الذى لا ندرك مع وجوده
مرامنا .

ردريجو : إذا سنحت فرصة لم أتردد .

ياجو : ستجد الفرصة عن يقين . الحق بى إلى القلعة بعد
هنيهة وأنا ذاهب إلى المرفأ لأبعث إليه بثقله^(١) .
إلى اللقاء .

ردريجو : إلى اللقاء .

ياجو : أن يحبها كاسيو ذلك صحيح وأعتقد أنه يحبها
كاسيو ذلك محتمل وسهل التصديق . المغربى — على
كرهى له — شريف الخلق ثابتٌ فى حبه ولعله يكون

(١) محمول المسافرين من ملابس ونحوها .

لديدمونه بعلاو فياً لكن أنا الآن أحبها أيضاً لالشهوة
تُقضى - وإن كان الإحساس الذي يدفعني إليها لا يقل
عن ذلك إجراماً - بل لأنها تهني لي سبيل انتقامي ذلك
لأنني أظن أن المغربي الفاسق قد اندس في فراشي
وهو تخمينٌ يأكل الأمعاء أكل السمّ المعدني ولا
شيء يُرَفِّهُ^(١) عن نفسه إلا أن أجعله عديلي ،
امرأة بامرأة ، فإن لم أستطع فإن أثير فيه من نار
الغيرة ما لا يقوى عليه العقل . ولإدراك هذا المرام
أرجو أن يطاوعني ذلك النشاق^(٢) الحاذق الذي
جلبته من البندقية بلا كلمة فإذا تبع الأثر جيداً لم
ألبث أن أملك ميشيل كاسيو عاجلاً من كليلتيه وأن
أسود وجهه في نظر المغربي تسويداً تاماً لأنني
أخشى أيضاً أن يكون بين كاسيو المذكور وبين
القُبعة التي ألبسها للنوم عداوة يسعى لإزالتها^(٣)

(١) يخفف . (٢) يصف رديجو بصفة الكلب . (٣) إشارة

إلى اشتباهه في ريبة ينويها كاسيو لامرأة باجو .

ثم أريد أن يحبني المغربي وأن يشكر لي بالحمد
والمكافأة جعلى إياهُ جَحْشًا يَبْنَى وإقلاق راحتهُ
وإفسادى سعادته إلى أن يُجَنَّ جنوناً . هذا مبدأ
الْخُطَّةِ التي رسمتها هنا (يشير إلى جبهته) لمكيدتى .
هى خُطَّةٌ لا تزالُ يحملتها مبهمة ولكنَّ وجهَ
الخديعة لا ينكشف إلاَّ إذا أتمت الخديعة فعلها .

المشهد الثانى

طريق

(يدخل منادٍ بيده قرطاس والشعب يتبعه)

المنادى : اقتضت مشيئة عطيل قائدنا الشريف الباسل بناءً
على ما ورد من الأنباء المحققة بدمار أسطول الأعداء
أن يعيّد الأهليون سروراً بهذا الحادث بعضهم
بالرقص وبعضهم بإطلاق السهام النارية وكلُّهم بالملاهى
والألعاب التى يؤثروها . ذلك لأن هذا اليوم عدا

ما جاء فيه من الأخبار السارة يوم الاحتفال بقرانه .
 وقد أمرنا بإبلاغ الشعب أيضاً أن جميع مطاعم
 القصر ومقاصفه مفتوحة ولمن يشاء أن يأكل فيها
 ويشرب منذ هذه الساعة الخامسة إلى أن يُقرَع
 جرس الساعة الحادية عشرة . بارك الله في جزيرة
 قبرس وفي قائدنا الشريف عطيل .

المشهد الثالث

رَدْهَةٌ فِي الْقَصْرِ

(يدخل عطيل وديدمونه وكاسيو ونفر من الخاشية)

عطيل : يا عزيزي ميشيل ارقب الحرس الليلة ولنعين
 لمسراتنا المدى الذي يقتضيه العقل لئلا نتجاوز نحن
 الحد الذي يُحيزه التصوُّن^(١) .

كاسيو : أمر يا جو بما يجب وسأرقب العَسَسَ بنفسى
 عطيل : يا جو أمين جداً ، طاب ليلكم ، نلتقى بكرة غد

(١) صون النفس عما لا يحمد .

يا ميشيل حاجة بي إليك . (إلى ديدمونه) تعالى

يا غرامى لنذوق من جنى ما كسبنا ذلك النعيم الذى
لم نذقه إلى الآن ، طاب ليلكم .

(يخرج عطيل وديدمونه والحاشية)

(يدخل يا جو)

كاسيو : مرحباً بك يا يا جو ، علينا الحراسة .

يا جو : لم تجئ الساعة العاشرة أيها الملازم وإنما صرفنا قائدنا

الليلة قبل الأوان من أجل غرامه ولا ملام عليه
لأنه لم يقض إلى الآن ليلة كاملة مع ديدمونه على

كونها قطعة تليق للمشتري^(١) .

كاسيو : إنها لسيدة شبيهة جداً .

يا جو : ومحبة للعب . أحلف لها على ذلك .

كاسيو : وعندى أنها أنضر المخلوقات وأرقها .

يا جو : ثم إن لها نظرة إليك أدعى ما تكون إلى البراز .

كاسيو : نظرة إقبال ولكن عن سلامة .

(١) كبير الآلهة عند اليونانيين الأقدمين .

ياجو : وإذا تكلمتُ ألا يُخالُ من صوتها أن دياناً^(١) تضرب
نَغْمَةَ الغرام على توقيع حربي .

كاسيو : هي الكَمالُ مجسماً ولا وراء .

ياجو : لندع السعد يتبطن لحافهما وتعال أيها الملازم ندخل
إلى هذا المكان فقد خَبَّأتُ فيه إبريق نبذٍ وهناك
بعض الكرام القبرسيين يُسْرُونَ بشرب نخبٍ في
صحّة عطيل الأسود . هـ

كاسيو : لا أشرب الليلة أيها العزيز ياجو لأن رأسي من
أضعف الرؤوس وأقلّها تحملاً للخمر وكان بودي
لو أنّ الأدب اخترع لنا وسيلة غيرها للتودد
والتجامل .

ياجو : الضيوف من أصدقائنا ولا تشرب إلا كوباً واحداً
بل أشربهُ عنك .

كاسيو : ما تعاطيت الليلة إلا كوباً واحداً مقتولاً (بالمزج)
ومع ذلك قد بدا على أثره . إني أسيفُ لهذا الضعف

ولا أجروا أن أحمل نفسي كوباً آخر .

ياجو : أتصرّ على الامتناع أيها الصديق واليلة ليلة عيد
وأصدقائنا يتمنون مساقاتنا النخوب .

كاسيو : أين هم ؟

ياجو : بالباب أرجو أن تذهب وتدعوهم .

كاسيو : سأفعل ذلك ، على أنه لا يعجبني .

ياجو : إذا استطعت أن أسقيه كأساً غير التي شربها قبلاً

امتلاً من الخصومة والسباب كامتلاء الكلب الذي
تَعُولُهُ مولاتي الجميلة . . . ومن جهة أخرى فإن

ردريجو رفيقي المريض الأبله الذي قلب الحب دماغه

قد شرب الليلة كأساً بعد كأس تكرّماً لديمونه

وسيكون مع العسس وهناك أيضاً ثلاثة من فتية

قبرس كرماء النفوس شديداً التحمس في مسائل

الشرف لو اندفعوا في كراهة اندفع معهم جميع

سكان قبرس الشجعان قد سقيتهم إلى الشرق

وسيكونون من الحراس . بقي على أن أستفز كاسيو



بين هذا القطيع من الشكارى المدمنين لإتيان أمر
يعتدونه مُهيناً للجزيرة وأهلها ، لكن أراهم قادمين
ولئن طابقتِ النتائجُ مُقدماتٍ تديرى سارت
سفينتى على ما أشتهى بمعونة المدِّ وموافقة الريح .
(يدخل كاسيو ثم منتانو ثم أعيان آخرون ثم خدم يحملون آنية الشراب)
كاسيو : لقد أوصلونى إلى حد النشوة .
ياجو : هاتوا خمرأ . (يتغنى) :

ل

دعونى أرنن الدن
دعونى أرنن الدن
ما الجندى إلا إنسان
ما العمر إلا دقات
خلوا الجندى يشرب ما شاء

هاتوا نبيداً يا أولادى

كاسيو : بالله أنشودة جميلة .

ياجو : تعلمتها فى إنجلترا التى أهلها أقدر الناس على تفرغ
الدنان بلا نزاع أما الدانمركيون والألمان والهولنديون

ذَوُو البطون الكبيرة . هاتوا خمرًا . فإنهم لا شئ في
مقابلة الإنجليز .

كاسيو : وهل الحقيقة على ما تصف ؟

ياجو : الواحد منهم يعاطى الدانركى حتى يدعه ميتًا من
السكر وهو لم يتعب ، كما أنه يغلبُ الألمانى فى
هذا المجال ولا يعرقُ ، فإذا ناظر الهولندى أرسله
يتقيًا قبل أن يملأ الزق الثانى .

كاسيو : فى صحة قائدنا .

متانو : اشرب هذا النخبَ أيها الملازم وأنا قريعتك مهما
ترفع الكأس .

ياجو : واهًا لإنكلترا الشائقة (ينشد) :

كان الملك إيتين نبيلًا شريفًا

يشترى سراويلاته بتاج^(١)

ويظنه مغبونا بستة بنسات من الثمن تقدًا

يلقب الطرزي^(٢) بالضحكة

كان شابًا بعيد الشهرة
 وأنت لست إلا رجلاً دينيًا
 الكبرياء مضيعة للأمم
 فقم وتذر بدثارك العتيق
 (نبيذاً يا غلمان)

كاسيو : بذمتي لهذه الأغنية أطف من الأولى .
 ياجو : أتريد أن أعيدها عليك .

كاسيو : لا . لأنني أعتقد أن من يعمل مثل هذه الأعمال
 غير جدير بمنصبه ، على أن الله فوق العباد والعباد
 فريقان يوم الدين ، ناجون وغير ناجين .

ياجو : هذا حق أيها الملازم الكريم .

كاسيو : أما أنا فأرجو أن أكون ناجياً ولا يؤخذني في
 ذلك القائد ولا أي رجل ذي مكانة .

ياجو : وأرجو النجاة لنفسى مثلك .

كاسيو : نعم ولكن بعدى لأن الملازم يجب أن ينجو قبل
 حامل العلم ، لكن حسبنا حديثاً في هذا المعنى ...

لنلتفت إلى شؤوننا اللهم اغفر لنا خطايانا .
 أيها السادة لنلتفت إلى شؤوننا ... لا تظنوا أني
 سكران يا سادتي هذا حامل عامي ، وهذه يمناي
 وهذه يسراي ، لستُ سكران البتة . أستطيع
 الوقوف قويمًا والتكلم حسنًا .

الجميع : حسنًا جدًّا .

كاسيو : على المرام . إذن لا ينبغي أن تظنوني سكران .

متتانو : إلى الرّواق يا سادتي نرتبُ العسس (يخرج كاسيو)

ياجو : أتنظر هذا الرفيق الخارج الآن ؟ هو جندي لائق

للخدمة تحت إمرة قيصر ولتولى القيادة العامة .

إلاّ أنه مصابٌ بهذه الآفة كما ترى وهذه الآفة

بالغةٌ منه مبلغَ فضله فهو بينهما شطران مستويان .

غبن عظيم . وإني لأخشى أن تكون الثقة التي لعطيل

به سببًا في زلزلة الجزيرة إذا حمله السكر يومًا على

منكرةٍ من منكراته .

متتانو : أكثيرًا ما يكون على مثل هذه الحالة .

ياجو : هذه الحالة تكون على الدوام مقدمةً لمنامه . وإذا لم

تُرْقِدُهُ النشوةُ فقد يَقْضِي يومه بليله مستيقظاً .

منتانوَ : يحسن أن يُنَبِّهَ القائد إلى هذه الخلَّة فقد لا يراها

فيه وقد تكون الفضائل التي يجدها عنده حاجبةً

نظرَه عن عيوبه . ألا ؟

(يدخل ردريجو)

ياجو (مخاطباً إياه على حدة) : ما أتى بك يا ردريجو . اذهب

عَدُوّاً وأدرك الملائم اذهب . (يخرج)

منتانوَ : من الحيف أن يعرِّضَ المغربي العظيم للخطر منصباً

ذا بال كمنصب نائبه بتركه إياه بين يدي رجل

مصاب بأفة كهذه لا يرجى شفاؤه منها ومن المروءة

أن يُفَاتِحَ في هذا الشأن .

ياجو : أنا لا أفعل ولو أعطيت هذه الجزيرة كليهما بدلاً من

إقرارى لأننى أحب كاسيو وبودى لو أستطيع

شفاءهما أ بذل فيه من مرتخص وغال لكن

أسمع صوتاً . . . ما هذه الجلبة ؟

(يعود كاسيو دافعاً أمامه ردريجو)

كاسيو : يا خسيس . . يا نذل .

منتانو : ماذا جرى يا ملازم .

كاسيو : غبيِّ يعامني واجبي ، سأضربه ضربة تسحقه حتى يدخل في زجاجة .

ردريجو : تسحقني ؟

كاسيو : أترثر يا دني . .

منتانو : حاماً يا سيدي الملازم ، أضرع إليك ، اكفف يدك

كاسيو : دعني ، أنت يا سيدي ، وإلا كسرت فكك .

منتانو : كفي كفي أنت سكران .

كاسيو : سكران ؟ (يتضاربان بالسيوف) .

ياجو (مخاطباً ردريجو على حدة) : طر وضح فتنة فتنة .

(يخرج ردريجو) حامك أيها الملازم الكريم . أسفاً يا أيها

السادة . المعونة يا للناس . سيدي الملازم . سنيور

منتانو . المعونة . نعم الحراس (يقرع جرس الخطر)

من يقرع هذا الجرس قف . ستستيقظ المدينة .

يا قوة الله . هدي غضبك أيها الملازم ، ستلحق

بنفسك عاراً خالداً .

(يدخل عطيل يليه نفر من الحاشية)

عطيل : ماذا يجري هنا

منتانو : تالله إن دمي ليسيل بلا انقطاع ، وإني لجريح ^{لج} جرح الموت .

عطيل : كفاً إن كنتما تأبهان^(١) للحياة .

ياجو : حسبك يا ملازم ، حسبك يا منتانو ، أنسيتما أين أتما ، وما يجب عليكما ؟ قفا ، إن القائد يخاطبكما ،
اخجلا وقفا .

عطيل : كفوا هذا القتال البربري ومن اجترأ منكم أن
يخطو خطوةً بعدُ لشفاء غليله فنفسه لا قيمة لها عنده
وإني لمورده حثفه لأول حراك يبدو منه . أسكتوا
هذا الجرس الذي يفرع الجزيرة ويوقظها في هلع .
ماذا جرى يا سادة ؟ أنت يا ياجو الأمين الذي
شجبت^(٢) شحوب الموت من الحزن ، تكلم من
البادئ بهذه الخصومة .

(١) تكثران . (٢) تغير لونك .

ياجو : ما أدري .. كانوا أضياءً منذ هنية كأصفي ما يكون
 العروسان حين يخلعان ملابسهما لدخول السرير
 فما شعرتُ إلا وكأن سيّارةً من السماء بذرتُ بينهما
 الشقاق فانتضيا سيفيهما وتهاجما يتشاحنان . كيف
 كان مبدأ هذه المبارزة ؟ لا أعرف . ولكنني كنت
 أود لو فُقدتُ ساقاي في حرب شريفة ولم تحملاني
 إلى هذا المشهد .

عطيل : أي شيء يا ميشيل أنساك الواجب إلى هذا الحد ؟
 كاسيو : عفوك يا سيدي لا أستطيع التكلم .
 عطيل : يا منتانو الشريف أنت متعود اجتناب المزيّيات^(١)
 وكنت في أيّام شبابك ساكناً وقوراً يجلّك
 الناقدون الحازمون فما دعاك لإلقاء هذه الشبهة على
 سمعتك واستبدال لقب « معربد ليلي » بما كان لك
 من الكرامة العزيزة ؟ أجبني .

منتانو : أي عطيل الشريف ، لقد جرحتُ جرحاً مؤبّقاً^(٢)

يُجْهِدُنِي مَعَهُ الْكَلَامَ وَإِنْ ضَابَطَكَ يَاجُو لِيَقْدِرَ عَلَى
إِبْنَائِكَ بِكُلِّ مَا أَعْلَمُ . عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَقُلِ اللَّيْلَةَ وَلَمْ أَفْعَلْ
شَيْئًا أَلَامُ عَلَيْهِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ رَفُقْنَا بِنَفْسِنَا فِي بَعْضِ
الْأَحْيَانِ عِيًّا ، وَكَانَ دِفَاعُنَا حِينَ يَعْتَدِي عَلَيْنَا إِثْمًا .

عطيل : يَا اللَّهُ الْعَظِيمَ لَقَدْ أَخَذَ دَمِي يَمْلِكُ عَلَى جَوَانِحِي بَدَلِ
الرَّوِيَةِ وَالتَّوَدَةِ وَطَفِقَ الرَّجْزُ يَتَغَشَّى بِصِيرَتِي
وَيُدْفَعُنِي إِلَى مَا أُكْرَهُ ، وَلَوْ خَطُوتُ خُطْوَةً أَوْ
حَرَّكَتُ هَذِهِ الذَّرَاعَ لَسَقَطَ خَيْرُكُمْ يَتَخَبَّطُ تَحْتَ
غَضَبِي . نَبْتُونِي كَيْفَ ابْتَدَأَتْ هَذِهِ الْخُصُومَةُ
الْقَبِيحَةُ وَمِنْ أَثَارِهَا فَلْتَن كَانَ شَقِيقِي وَتَوَعَّى الَّذِي
وُلِدَ سَاعَةَ مَوْلَدِي ، لِأَقْصَيْنَنَّهُ عَنْ نِعْمَتِي . يَا عَجَبًا !!
أَيِدَارُ قِتَالٍ فِي مَوْقِعِ حَرْبِي لَا يَزَالُ أَهْلُهُ فِي تَأْثَرٍ شَدِيدٍ
وَخَوْفٍ مُرْهَقٍ^(١) ؟ وَمَتَى ؟ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ . وَأَيْنَ ؟
بَيْنَ فَصِيلَةِ الْحَرْسِ . إِنَّهُ لِأَمْرٍ فَظِيعٍ ، أَيُّ يَاجُو مِنْ
بَدَأَ هَذِهِ الْخُصُومَةَ ؟

مُتَنَانَو : إِذَا لَمْ تَقِلْ الْحَقِيقَةَ مِرَاعَاةً مِنْكَ لِلصَّحْبَةِ أَوْ لِلْمِرَامِلَةِ
فَلَسْتَ بِمُحْنَدِي

يَا جُو : لَا تَخْرُجُونِي بِهَذِهِ الْقُوَّةِ خَيْرَ لِي أَنْ يُنْتَزَعَ لِسَانِي
مِنَ التَّفَوُّهِ بِلَفْظَةٍ تَكْدَّرُ مِيشِيلَ كَاسِيُو ، غَيْرَ أَنِّي
وَاثِقٌ مِنْ أَنَّ الَّذِي سَأَذْكُرُهُ لَا يُضِرُّ بِهِ فِتِيلًا ،
فَاسْمَعْ مَا جَرَى أَيْهَا الْقَائِدُ : بَيْنَمَا كُنَّا نَتَسَامَرُ
أَنَا وَمُتَنَانَو دَخَلَ رَجُلٌ يَسْتَعِيثُ وَكَاسِيُو مُتَبِعًا إِيَّاهُ
يُرِيدُ ضَرْبَهُ بِسَيْفِهِ الْمَسْلُوكِ فَتَصْدِي هَذَا الشَّرِيفُ
لِكَاسِيُو يَلْتَمِسُ مِنْهُ الْعَفْوَ عَنْهُ ، وَتَبِعْتُ أَنَا ذَلِكَ
الرَّجُلَ الْمُسْتَضْرِحَ لَمَنْعِهِ مِنْ اهْتِيَاجِ الْأَهْلِينَ بِصِيَحَاتِهِ
كَمَا فَعَلَ ، عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ أَسْرَعَ مِنِّي عَدُوًّا فَمَا
لَبِثْتُ أَنْ تَرَكْتُهُ وَرَجَعْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِنَصْلَتَيْنِ تَتَلَقِيَانِ
وَتَصِلَانِ وَبِكَاسِيُو يَقْدَعُ^(١) بِالْفَاظَةِ قَدْعًا مَا سَمِعْتُهُ
مِنْهُ قَبْلَ الْآنَ ، عَلَى أَنِّي مَا كَدْتُ أَبْلُغُهُمَا حَتَّى كَانَا
قَدْ تَرَكَا النَّصْلَتَيْنِ وَشَرَعَا يَتَرَا كِلَانًا^(٢) ، وَلَا أَقْدِرُ أَنْ

(١) يَسِبُ . (٢) يَتَضَارَبَانِ بِالْأَرْجْلِ .

أقول شيئاً آخر عن هذه المسألة غير أن الرجال إنما هم رجال وخيرهم قد يسهو ويخطئ ، فلو كان كاسيو قد أهانَ هذا الرجل الكريم ، ومع الغضب ربما ضرب الإنسان أصدق الناس مودةً له ، فلا بدَّ أن كاسيو قد لقي من الرجل الذي هرب إهانةً بشعةً ذهبتُ بصبره .

عطيل : يا ياجو إن نراحتك وصداقتك تحملانك على تلطيف الأمر ليكون أقلّ وقرأً على كاسيو ، ولكن اعلم يا كاسيو أنني أحبك وأنتك لن تكون ضابطى أبد الدهر .

(تدخل ديدمونه وحاشيتها)

عطيل : انظروا إن حبيبتى وخالصة لى قد استيقظت بسبب الجلبة . (إلى كاسيو) سأجعلك عبرة وعظة .

ديدمونه : ما الذى حدث ؟

عطيل : كل شيء على ما يرام الآن يا حبيبتى ، عودى إلى

سريرك (إلى متناو) سأكون بنفسى آسى^(١) جراحك،
 انقلوه (ينقل متناو) اذهب يا ياجو وطف المدينة
 وأمن الخائفين . تعالى ياديدمونه من حياة العسكرى
 أن يستيقظ من منامه على جلبة القتال .

(يخرجون إلا كاسيو وياجو)

ياجو : ما بالك ؟ أنت جريح يا ملازم ؟

كاسيو : نعم وبغير شفاء .

ياجو : لا سمح الله .

كاسيو : سمعتى سمعتى ، فقد الجزء الخالد منى . وبقيت البقية

الحيوانية ، سمعتى ياجو ، سمعتى !

ياجو : ظننت ، وايم نراحتى ، أنك أصبت بجرح بدنى ،

ذلك أشدّ خطراً من الإصابة بجرح فى السمعة ،

وما السمعة على الحقيقة إلا أكذوبة باطلة تنال فى

الأكثر بغير جدارة وتفقد لغير ما سبب . فلست

بفاقد سمعتك إلا إذا أذعت أنك فقدتها . تنبه

يا صاحبي لا تزال لك وسيلة لاستعادة رضا القائد
فقد عزلك في ساعة غضب لا عن سياسة ولا عن
مكر ، بل كما يفعل الذي يضرب كلبه ولم يذنب ،
لِيُرْهَبَ أَسَدًا هَصُورًا ، استعطفه عليك ينعطف .

كاسيو : أفضل أن ألتبس من الناس تحقيري على خديعة مثل
هذا القائد العظيم بأن أعرض عليه أن يستعيد ضابطاً
نزقاً سكيراً قليل الاحتراس في هذا الحد .

ياجو : أنت وكل حي عرضة للسكر في ساعة ما أيها الصديق .
خذ عني الآن ما ينبغي لك عمله . إن امرأة قائدنا هي
التي أصبحت قائدتنا ... لأنه قد انصرف كل الانصراف
إلى تمتيع نظره وقلبه بحاسنها ومكارم أخلاقها .
فاذهب إليها وأقررْ بذنبك صريحاً والتمس منها
بالحاح وإلخاف أن تعينك على العود إلى منصبك فلا
تلبث أن تشفع لك عنده إذ أن سماحة فطرتها تجد
من الرذيلة عدم الإجابة إلى أكثر مما يطلب منها .

كاسيو : أسديتني خير نصيحة .

ياجو : كن واثقاً أنها نصيحة خلوص وحسن نية .

كاسيو : أنا واثق مما تقول وسأذهب من بكرة غد إلى

ديدمونه الطاهرة وأبتهل إليها أن تتولى أمري فإذا

لم يسعدني الحظ مع وساطتها فقدت كل رجاء .

ياجو : إنك لفي المنهاج السوى . طاب ليلك أيها الملازم .

يجب أن أسهر في العسس .

كاسيو : طاب ليلك أيها الصفي ياجو .

ياجو : هل جرى أن يزعم أنني أمكر مكرًا سيئًا حين

أنصح نصيحة كهذه خالصة صريحة سهلة التحقيق

لا وسيلة غيرها لكسر شرّة المغربي واستعطافه .

أم هل أكون غدارًا حيث أشير على كاسيو بالخطّة

التي توصّله تَوًّا إلى فائدته ؟ إيه يا آلهة سقر متى

أراد الزبانية^(١) الإيعاز بأشنع الخطايا صوّروها في

المبدأ بأبدع الصور السماوية كما أفعل الآن ، لأنه

ينما ذلك الأبله السليم الطوية يسعى لدى ديدمونه

لاستعادة مكاتته ، وبينما هي تشفع له عند المغربي
بقوة ، أدس أنا في أذن عطيل سُمَّ الريب في حقها
بما أدخله على قلبه من أن رقتها لكاسيو ليست عن
مبرة ولكن عن شَغَفٍ أَثِيم . ثم بقدر ما تزداد
إلحاحاً في التماس الرأفة له يزداد تأييدها لسوء الظن
بها عند المغربي ، وهكذا آخذها في فتح فضيلتها
وأستخرج من مروءتها الفخ الذي أوقعهم فيه جميعاً .
(يخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول

تجاه القصر

(يدخل كاسيو وفصيلة موسيقارين)

كاسيو : يا أساتذتي اضرُّوا هنا ، وسأُ كافئكم على ما تجيدون .

اضرُّوا لحناً مختصراً لتهنئة القائد يومه السعيد .

(تعزف الموسيقى)

(يدخل المضحك)

المضحك : مهلاً يا أساتذتي . أذهبت معازفكم^(١) إلى نابلي^(٢)

فعادت منها بهذه الغنة الأتنية .

موسيقى أول : ما قصدك يا سيدي ؟ ما القصد ؟

المضحك : هل هذه الآلات آلات هوائية ؟

موسيقى أول : طبعاً يا سيدي .

(١) آلات النفخ الموسيقية . (٢) بلدة في إيطاليا .

المضحك : هذه تقود أرسلها القائد ويرغب إليكم ودياً أن
تكفوا هذه الغوغاء .

موسيقى أول : سنمتنع يا سيدي .

المضحك : إن كنتم تعرفون أنعاماً لا تسمع فاضربوها .
أما الموسيقى التي تسمع فالقائد غير مولع بها .

موسيقى أول : ليست عندنا الموسيقى التي تشتهيها .

المضحك : إذن ضعوا زماميركم في أكياسكم وانطلقوا لأنني
ذاهب . تلاشوا في الهواء . تواروا . (يخرج الموسيقيون)

كاسيو : أرجو أن تُحْتَسَبَ مهارتُكَ عني . هذه قطعة ذهب
ولى إليك رغبة : متى استيقظت السيدة التي تخدمُ
امرأة القائد فقل لها إن رجلاً يدعى كاسيو يود أن
تمنحه مقابلتها هنيئة ... أتفعل ؟

المضحك : لم تمض إلا دقيقة منذ هبطت عن سريرها ، وسألق
إليها كلمة تهبط إلى هذا المكان ، إن أرادت .

كاسيو : افعل ذلك يا صاحبي العزيز . (يخرج المضحك)

(يدخل ياجو)

كاسيو : يا جو ، جئت في ميقات الحاجة إليك .

يا جو : يلوح لي أنك لم تتم .

كاسيو : طلع النهار قبل أن نفرق وقد اجترأت أن أرسل في

طلب امرأتك رجاء أن تلتمس لي موعداً من

الفاصلة ديدمونه .

يا جو : سأبعثها إليك حالاً ، وأحاول بقاء المغربي بحيث

تتمكن الوقت الكافي للتكلم فيما لك من الشأن .

كاسيو : شكراً لك جزيلاً (يخرج يا جو) لم أعرف قطّ

فيورنتياً أمضى في الخير وأشدّ وفاءً .

(تدخل إميليا)

إميليا : صبحك الله بخير أيها الملازم الكريم . أنا حزينة لما

أحزنك ، ولكن الأمر سيُصلح كما أرجو ، والقائد

وامرأته يتباحثان في هذه المسألة . هي تدافع عنك

بقوة ، وهو يجيب أن الرجل الذي جرحته على

السمعة في قبرس وله قُرْبَى مؤشوجة^(١) الأعراق

بين كبراء الجزيرة فكان لا مندوحة له من عزلك
أو يخطئ الرأي ، وإنه ما زال يحبك ولا يحتاج من
الوصاة بك إلا إلى ما يوحيه وُدُّه ، فهو سيفتتم
أول فرصة تسنح لردك إلى مكانك .

كاسيو : مع هذا أرجو منك إذا كان في الإمكان أن تهَيِّئ لي
اجتماعاً بديدمونه أكلهما فيه على حدة .

إميليا : تفضل واتبعني أجعلك في موضع تخاطبها فيه براحة
وصراحة .

كاسيو : هذه منّة عظيمة .

المشهد الثاني

مسكن في القصر

(يدخل عطيل وياجو ووجهاء)

عطيل : ادفع هذه الرسائل إلى الملاح يا ياجو وليُحْمَلْ إلى
مجلس الأعيان سلامي . بعد هذا أنا ذاهبٌ للتنزه
ومشاهدة أعمال التحصين فتى عدتَ فالقني هناك .

ياجو : سأفعل يا سيدى الكريم .
 عطيل : والآن أيها السادة أنخض لنرى المعادل ؟
 الوجهاء : سمعاً وطاعة . (يخرجون) .

المشهد الثالث

فى القصر

(تدخل ديدمونه وكاسيو وإميليا)

ديدمونه : ثق يا عزيزى كاسيو أننى سأبذل جُهدى لخدمتك .
 إميليا : افعلى مشكورة يا سيدتى فإن زوجى شديد التألم
 لهذا المصاب كأنه مصابه .

ديدمونه : نعم الفتى الوفى ! لا ترتب يا كاسيو أننى سأعيد
 الصداقة بينك وبين قرينى كما كانت قبلاً .

كاسيو : يا سيدتى الكريمة، مهما ينته إليه أمر ميشيل كاسيو
 فإنه إلى آخر الدهر خادمك الأمين .

ديدمونه : أعتقد هذا وأحمدك عليه . أنت تحب مولاي

وتعرفة من عهد طويل ، فلا تحسب أنه يدعك
مقصياً عنه إلا مهلة ما تقتضيه السياسة .

كاسيو : أجل ياسيدتى ولكن هذه السياسة قد يطول
أجلها ، وقد يتخللها من المعاذير التافهة الأسباب
والارتباك التى يجيء بها تحويل الأحوال مدة
انصرافى عن منصبى وحلول غيرى محلى ، ما يُنسى
قائدى خلوص حبي له وسوابق خدمى .

ديدمونه : لا تداخلك هذه الخشية . أضمن لك منصبك بشهادة
إميليا وأيقن أنى متى وعدت وعداً وُدِّيّاً وفيت
به إلى آخر حرف منه . سأظل ملحّة على مولاي
مكررة لديه التماسى حتى أرده عن جماعه بل سأجعل
فراشه شبه مدرّسة ، ومائدته شبه خلوة للاعتراف ،
وأدخل فى كل مشاغله طلب كاسيو . ذلك لأن
محاميك يؤثر الموت على ترك قضيتك .

إميليا : سيدتى هذا سيدى قادماً .

كاسيو : سيدتى إذنك بالانصراف .

ديدمونه : امكث واسمع ما أقوله له .

كاسيو : الآن لا ، ياسيدتي ، لأنني في أشد الانزعاج وغير

كفء لخدمة مصاحتي .

ديدمونه : افعل ما تستصوب .

(يدخل عطيل وياجو)

ياجو : أفٍّ ما أحب هذا .

عطيل : ماذا تقول ؟

ياجو : لا شيء ياسيدي .. أو . لا شيء .

عطيل : ألم يكن كاسيو هذا الذي فارق امرأتى الساعة ؟

ياجو : كاسيو ياسيدي ؟ يقيناً لا . ما أظن .. لو كان هو

ما فرّ فرارَ المجرم حين رآك مقبلاً .

عطيل : أظنه إياه .

ديدمونه : كنت يا سيدى أخاطبُ ذا حاجة . رجلاً حزيناً

في الغاية لانصرافك عنه .

عطيل : من تعنين ؟

ديدمونه : ملازمك كاسيو . أى سيدى لئن كانت لى حُظوة

في عينيك وقُدرةً على استعطافك إن رجائي أن تتفضل
عليه وتصفح عنه لأنه رجل صادق الحب لك . وإنا
أخطأ عن جهل لا عن عمد وإلا خابت فراستي في
وجوه الأوفياء . أبتهل إليك أن تعيده إلى منصبه .

عطيل : أهو الذي كان منصرفاً من هنا ؟

ديدمونه : نعم هو . وكان كثيباً كآبة تركت في نفسي أثراً
من حزنه وشطراً من ألمه . يا حبيبي ناشدتك غرامنا
إلا ما أرجعته .

عطيل : الآن لا ، يا ديدموني الرقيقة ، ولكن في وقت آخر .

ديدمونه : أيكون هذا الوقت الآخر قريباً ؟

عطيل : أقرب ما يكون إكراماً لك يا عزيزتي .

ديدمونه : أعلى العشاء الليلة ؟

عطيل : الليلة . لا .

ديدمونه : أغداً الظهر ؟

عطيل : لن أتغدى في البيت غداً لأنني سألحق بالضباط

إلى القلعة .

ديدمونه : إذن غداً مساءً أو الثلاثاء ظهرًا أو الأربعاء صباحاً ..
 أتوسل إليك أن تعين الميقات ولا يزد عن ثلاثة أيام ..
 إنه وذمتي لنادم على خطيئته وهي في رأى الأكثرين
 ليست من الخطايا التي تستلزم أدنى ملام إلا إذا صدقت
 قاعدة القائلين بأنه يجب في الحرب تأديب الأمثلين
 ليعتبر سواهم بهم . متى يعود ؟ قل لى يا عطيل .
 إننى لأسأل ضميرى عن شئ تطلبه منى ولا أجيبك
 إليه أو أتردد في الإجابة . عجياً أميشيل كاسيو الذى
 كان أمين سرنا في غرامنا وكان يدافع لى لدى عنك
 حين أذكرك بغير ما يعجبه ينبغى لى أن أشفع له بكل
 هذا الإلحاف لتصفح عنه . . . ما كان أسرعنى لإجابتك
 إلى أقصى الرغائب لو بدت لى منك إشارة .

عطيل : كفى وحياتك .. ليعد حين يشاء .. لا أمنع لك سؤالاً .
 ديدمونه : على أن عودته لا يعد إحساناً مذكوراً . سألتك إياه
 كما أسألك أن تلبس قفازيك^(١) أو تتغذى بطعام أو

(١) ما يكسى به الكفان لاتقاء البرد .

تستدفيء من برد أو تفعل أى فعل يُفيد صحتك .
 لكن علمت الآن أنتى إذا جدّت لى عندك أمنيّة
 كانت تلك الأمنيّة عظيمة الشأن صعبة التحقيق .

عطيل : لن أرد لك أمنيّة فكونى متفضلة وأمنحني هنيهة
 أخلو فيها بنفسى .

ديدمونه : أكنت رادّة لك أمراً . لا . . إلى الملتقى يا مولاي
 عطيل : سأوافيك من غير إبطاء .

ديدمونه : تعالى إميليا ، افعل ما يوحيه إليك الضمير . مهما
 تشاء فإتى خاضعة .

عطيل : يا لها من شاطرة آخذة بالألباب . أحبك ولو سامنى
 حُبك عذاب الآخرة . فإذا انصرفت عن هواك
 يوماً . . فهناك تعاودنى الفوضى والظلمات .

ياجو : أى مولاي الشريف .

عطيل : ماذا تقول ياجو ؟

ياجو : أ كان ميشيل كاسيو يعرف غرامكما .

عطيل : عرفه من مبدئه إلى نهايته . لم هذا السؤال ؟

ياجو : إرضاء لفكري لا لشيء آخر ذي بال .

عطيل : وما فكرك ؟

ياجو : كنتُ لا أتخيل أنه يعرف ما دار بينكما .

عطيل : بلى وكان يتوسط بيننا أحياناً .

ياجو : أحقاً ؟

عطيل : أحقاً ؟ نعم حقاً . ما ترى تحت هذا ؟ أليس وفياً ؟

ياجو : وفى يا مولاي .

عطيل : وفى . بلى وفى .

ياجو : وفى يا سيدى إلى غاية ما أعلمه .

عطيل : صرّح عما فى ضميرك .

ياجو : عما فى ضميرى يا مولاي ؟

عطيل : عما فى ضميرى يا مولاي ، بالله إنه ليجبنى كرجع

الصدى كأنّ فى طويته شيئاً أبشع من أن يكشف

عنه النقاب ... تضرر أمراً ولا تُبديه . ولقد سمعتك

تقول « أف ما أحب هذا » عندما كان كاسيو يفارق

امراتى . ثمّ لما أخبرتك إنه كان مُطلّعا على أسرار

غرامنا سبق لِسَانُكَ فَفَكَرْكَ وَقُلْتَ « أَحَقًّا » ثُمَّ
 اتَّقَبَضْتَ أَهْدَابُ عَيْنِكَ وَتَضَامَّتْ كَحَوَافِي الْكَيْسِ
 كَأَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَخْبُوَ فِي دِمَاغِكَ سِرًّا رَهِيًّا . إِنْ
 كُنْتَ لِي مُحِبًّا فَكَاشَفْنِي بِمَا تَضُمِّرُ .

ياجو : مولاي تعلم أنني لك محب .

عطيل : أَعْتَقْدُ وَدَّكَ وَبِقَدْرِ مَا أَعْرِفُ مِنْ أَنَّكَ مَضْمُومٌ وَلَا
 وَزَاهَةٌ وَأَنَّكَ تَرْنُ كَلِمَاتِكَ قَبْلَ النُّطْقِ بِهَا فَتَوْقِفَاتُكَ
 فِي الْحَدِيثِ أَشَدَّ مَوْقِعًا مِنِّي لِأَنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْمَحَازِرَاتِ
 إِنَّمَا تَكُونُ مَرَاوِغَاتٍ مَأْلُوفَةً عِنْدَ اللَّئِيمِ الْخَبِيثِ
 الْكَذُوبِ كَمَا أَنَّهَا تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مَكَاشِفَاتٍ
 مَبْرَقَةٌ تَخْرُجُ مِنْ صَدْرِهِ لَمْ يَمْلِكْ تَأْثِيرَهُ .

ياجو : أَجْرُو عَلَى الْإِقْسَامِ بِأَنْ مِيشِيلَ كَاسِيُو وَفِيَّ كَمَا أَعْتَقْدُ .
 عطيل : وَكَذَلِكَ أَعْتَقْدُهُ .

ياجو : كَانَ يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ كَمَا تَتَّبَعُ عَنْهُمْ ظَوَاهِرُهُمْ .
 بل لَيْتَ الَّذِي خَلَقَهُمْ لَمْ يَجْعَلْ لِلْمُنَافِقِينَ أَشْبَاهًا .

عطيل : يَقِينُ أَنَّ الرِّجَالَ يَحِبُّ أَنْ يَكُونُوا كَمَا تَتَّبَعُ عَنْهُمْ ظَوَاهِرُهُمْ .

ياجو : ولهذا أظن أن كاسيو صادقُ الولاء .

عطيل : لا . عندك ههنا أكثر مما تبوح به . فرجائي أن تظهر لي خواطرك كما تُجملُها في خفائك وأن تُلبسَ القبيحةَ منها أقبحَ الألفاظ .

ياجو : عفوك يا سيدي الكريم أنا مكلف كل عمل قويم تقتضيه الطاعة ولكنني غيرُ مكلف ما أُعنى منه الأرقاء . أظهاراً لضمائري وقد يكون منها ما هو دنيء ومنها ما هو زور ... أيُّ قصد لا تدخله بعض المكاره في بعض الآونة وهل في الناس من طهر قلبه حتى لا تداخله الريبُ المستهجنة وتعتقد فيه أحياناً محاكمها القانونية بجانب الأفكار النقية

عطيل : ياجو إذا ظننت أن صديقك مهان ولم تطلعه على ما في طويتك فأنت من المتأمرين عليه .

ياجو : قد يكون ظني إثماً وأقر بين يديك أن من طبيعتي الرديئة إساءة الظن واختلاق خطايا قد لا تكون .. فأترضع إليك أن تصون حكمتك عن الأخذ بمزاعم

رجل كثير الخطل في تصوره وأن لا تبني صرحاً من
 الأوهام المزججة على أساس غير متين من ملاحظاته
 الناقصة فلا فائدة لك من جهة اطمئنانك وصفائك
 ولالى من حيث شرفى الرّجلى ونزاهتى وعقلى أن تطلع
 على خفايا فكرى .

عطيل : ما مرادك من هذا ؟

ياجو : حسن السمعة للرجل والمرأة ياسيدى العزيز أئمن
 جوهرة من حلى النفس . من يسرق كيس تقودى
 يسرق شيئاً زريعاً كان لى وأصبح له وكان قبلنا لألوف
 آخرين أما الذى يسرقُ حسن سمعتى فمختلس شيئاً
 لا يغييه ويجعلنى فقيراً جهداً الفقر .

عطيل : وأيم السماء لأعرفن أفكارك .

ياجو : لن تعرفها ولو كان قلبى فى يدك فهل تصل إليها وذلك
 القلب فى حراستى ؟

عطيل : آها .

ياجو : أى مولاي احذر الغيرة . تلك الخليقة الشوهاء ذات

العيون الخضراء التي تسخر مما تتغذى به من لحوم
الناس . الرجل الذي يُثْلَمُ عرضه فيعرف مصابه
ويكره جالبه عليه سعيد سعيد بجانب ذلك الذي
يقضى الدقائق الجهنمية شَغَفًا ، إلا أنه مستريب .
عاشقًا أشدَّ العشق ، ولكن تساوره الشكوك .

عطيل : يا للشقاء .

ياجو : الفقر مع القناعة غنى بلا جاه عريض . أما النعم التي
لا تحصى فتكون فقرًا عقيمًا عَقِمَ الشتاء البارد للذي
يخشى أبدًا أن يصبح معسرًا . اللهم يا ذا الراحم
أَعِفْ من الغيرة نفوس أمثالي .

عطيل : لمَ كل هذا ؟ أظن أنني سأعيش هذه العيشة
مغترًا ظنوني كلما تغير هلال . كلا . متى نفذ الريب
ثبتت النفس على حالة معه . تبدّل مني بقيس فطيع
يوم أدع نفسي بين أيدي الشبه التي تحدّثها كلُّ
دسيسة . أنا لا تستفز غيرتي بأن يقال لي إن امرأتي
جميلة وإنها لطيفة المحاضرة وإنها تحب المعاشرة وإنها

طليقة النفس في أحاديثها وتغنى وتلعب وتحسن
الرقص . كل هذه الأفعال تكون فاضلة متى كانت
المرأة فاضلة . ثم إنني من جهة أخرى لا أخشى
أدنى خَشْيَةٍ منها ولا يخالجنى أيسرُ ظنٍّ سيِّئٍ بها
من جهة أني فاقد المحاسن لأنها إنما اختارتني ولها
عينان مبصرتان نظرتني بهما . لا لا . . وما أنا بمرتاب
حتى أرى فإذا ارتبت فحتمٌ أن أثبت مما يداخني
من الظنون وإذا وَضَحَ لي البرهان بعد ذلك فيومئذٍ
فراقاً خالداً إما للحب وإما للغيرة .

ياجو : يسرّني عزمك هذا بأنه يمكنني الآن من توكيد
حبي لك وتجلّتي . وعليه يقتضيني الواجب أن أقدم
إليك نصيحة — وبعدها يحىء وقت البرهان —
راقب جيداً ما يكون من امرأتك ومن كاسيو . .
استعمل عينيك من غير إساءة ظن ، إذ لا أحب أن
تنخدع فِطْرَتُكَ الشريفة الحرّة بسماحتها . أنا أعلم
بطبائع بلادى والنساء في البندقية يظهرن من

أحوالهنَّ على مشهدٍ من الملاء ما لا يجرؤون أن يظهرنه
 لبعولتهنَّ فالذمة عندهنَّ لا أن يمتنعن عما يشتهين
 ولكن أن يخفينه .

عطيل : أجدُّ ما تقول ؟

ياجو : غشت أباهما بتزوجها منك ولم تكن أشدَّ هيأماً بك
 منها حين كانت ترتجف مهابةً من نظراتك .

عطيل : هو حقيقة ما بدا لي منها .

ياجو : فعليك والحالة هذه أن تستتبع القياس العقلي : إن التي

استطاعت وهي في أنضر الصبي أن تخفي ما بها عن أبيها
 إخفاءً تركت معه عينيه أشدَّ إقفالاً من لبابِ

السُّنْدِيَانَةِ . . . التي غافلتها حتى اتهم بها السحر . . .

صفحاً يا سيدي . . . إني ملوم وإياك أستغفر عن فرطِ

هذا الخلوص في ولائي لك .

عطيل : لن أنسى لك هذه المنّة مدى الدهر .

ياجو : ألمح أن كلماتي قد شغلت من بالك .

عطيل : البتة .

ياجو : بل أجد أنها نالت منك وأحزنتك بغير ما قصدته
 منها وإنما أنطقني بها الولاء، لكن أراك واجماً^(١)
 فيتعين عليّ أن ألتبس منك أمراً وهو أن لا تُعطى
 تلك الكلمات معنى أبعد ونتيجة أوسع مما يعطاه
 مجرد الريب .

عطيل : سأفعل .

ياجو : إذا تماديت في التأويل يا سيدي أصابت أقوالى من
 المرمى ما لا أحبه . إن كاسيو لصديق . أى مولاي
أراك مضطرباً .

عطيل : بعض الشيء . أعتقد أن ديدمونه عفيفة على كل حال .

ياجو : أطال الله بقاءها وهى كما تعتقد وأطال بقاءك على هذا
 الظن الحسن بها .

عطيل : غير أن الطبيعة قد تضل السبيل

ياجو : وهذا هو محور المسألة وبناءً عليه أزداد جرأة معك
فأقول إن فى امرأة تأبى من يعرض عليها من الخطاب

المتعديين الذين هم من بلادها ولونها ومقامها مع أن
الطبع يدفعها إلى إيثار أمثالهم ، لدليلاً على نفس
فاسدة وميول غير متناسبة وأفكار مخالفة للفطرة .
لكن سأمحنى فما أذكر هذا لأخصها به غير أنني
أخشى أن تراجعها نفسها مراجعةً يتلخص فيها
رأيها من أسباب الهيام فتقابل بينك وبين أبناء
موطنها فتندم .

عطيل : انصرف بسلام وإذا رأيت شيئاً بعد فزدني علماً
ولتقرب امرأتك ما يكون . إليك غنى^(١) الآن .

ياجو : مولاي أستاذن (يتظاهر بالانصراف)

عطيل : ما الذي حملني على الزواج ، هذا الإنسان الوفي يرى
ويعلم بلا مرأى أكثر مما يبدي .

ياجو (متراجعاً) : مولاي أود لو أن ذاتك المبجلة لا تتعمق
في تنقيب هذه المسألة بل تدع ذلك للوقت . إذ أن
الوقت يظهر المحبآت بأدق مهارة . ومع ذلك إذا

بدالك أن تُبقي الرجلَ مَقْصِيًّا إلى حين ، تسنى أن
تستبطنَ سرائره وتعرفَ وسائله . ثم انظر ما إذا
كانت امرأتك تلح لإرجاعه بشدةٍ وإلحافٍ وحماسة .
ففي هذه الأحوال ما فيها من الأدلة . ومهما يكن مما
أسلفته فاجعل أساسَ الرأي أننى أفرطت في الحرص
عليك إفراطاً هو من معايبي هذا مع التضرع إلى
ذاتك المبجلة بأن تعتدها بريئة .

عطيل : ثق أننى سأملك نفسى .

ياجو : أستاذن مرة ثانية . (ينصرف)

عطيل : هذا الفتى وفى فى النهاية ويستكشف بفكر نير جميع

الطوايا البشرية . لو كانت تلك المرأة بازياً^(١)

عالقَةً به ألياف قلبى لأطلةته وتركته تحت العواصف

يبحث عن صيد يتصيد . لعلها مالت إلى غيرى

لأننى أسود وليس فى كلامى من الرقة والتزويق

ما فى كلام أولئك المتحدلقين المختلفين إلى القصور

أو لأننى فى أول مَهْبِطِ السنين على كون هذا التقدم
 فى السن لا يظهره شىء منى . لقد انفصلت عنى
 وخذعتنى ولم تبق لى تعزية إلا أن أبغضها - أو اه
 من خيبة الزواج - أنتوهم أننا مالكون لهذه الخلائق
 الضعيفة حيث لا سلطان لنا إلا على شهواتها ؟ لاؤثر
 أن أكون صرصاراً يعيش من أبجرة السجن على
 ترك جزء من الشىء الذى أحبه لمتاع الآخرين .
 ولكن من ههنا تنبعث اللعنة التى يعيش فيها الكبراء
 فهم أسوأ حظاً من السوقة ، كأن الإصابة بالعرض
 قد حُتِمَتْ عليهم تحميم الموت . وبلاه من ذلك
 الخطب الناطح بقرنيه الذى يُقَدَّرُ علينا منذ الميلاد .
 هذه ديدمونه آتية . لئن كانت غادرة لقد آمنت
 أن السماء تسخر من نفسها . لا . لا أعتقد فيها الغدر .
 (تعود ديدمونه وإميليا)

ديدمونه : بحياتك ماذا يجرى أيها العزيز ؟ إن ضيوفك من
 أعيان الجزيرة لمنتظروك والغذاء مهياً .

عطيل : على الملام .

ديدمونه : ما بالك تتكلم بهذا الصوت الضعيف . أتشعر بألم ؟

عطيل : عندي ألم في الجبين هنا .

ديدمونه : هذا من فرط السهر ولكن سيزول حالاً . . . دعى

أَعْصِبُ رَأْسَكَ بِشِدَّةٍ وَبَعْدَ سَاعَةٍ تَكُونُ مُعَافَى .

عطيل : إِنْ مَنَدَيْكَ لِأَصْغَرَ مِنْ أَنْ يَعْصِبَنِي (يَنْزِعَ الْمَنْدِيلَ عَنْ

رَأْسِهِ فَيَسْقُطُ إِلَى الْأَرْضِ وَلَا تَقْنَبْهُ لَهُ دِيدْمُونَةُ) خَلَى عَنْكَ

هَذَا . تَقْدُمِي وَأَنَا مُتَبِعٌ .

ديدمونه : بِي حَزَنٍ مِنَ الْمَلِكِ (يَخْرُجُ عَطِيلُ وَدِيدْمُونَةُ) .

إميليا : إِنِّي فَرِحَةٌ بِوُجْدَانِ هَذَا الْمَنْدِيلِ . هُوَ أَوَّلُ تَذْكَارٍ

أَهْدَاهُ الْمَغْرِبِيُّ إِلَيْهَا وَزَوْجِي الْغَرِيبُ الْأَطْوَارُ قَدْ

لَاطَفَنِي كَثِيرًا وَسَأَلَنِي أَنْ أُسْرِقَهُ لَهُ . غَيْرَ أَنَّهَا تَحِبُّ

هَذِهِ الْهَدِيَّةَ حُبًّا جَمًّا . لِأَنَّ عَطِيلًا أَوْصَاهَا مَلَحًا

بِالْحِفَافِ بِهَا أَبَدًا وَهَذَا هِيَ تَحْمِلُهَا بِلَا انْقِطَاعٍ وَتَقْبَلُهَا

وَتَخَاطِبُهَا . سَأَسْتَصْنَعُ مَنْدِيلًا عَلَى هَذَا الْمِثَالِ فَأَعْطِيهِ

يَا جُو لِيَعْمَلَ بِهِ مَا يَشَاءُ مِمَّا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَلَسْتُ أَعْلَمُهُ

وغاية مرامى إنما هى إجابة سؤله .
(يعود يا جو)

ياجو : ماذا وقوفك هنا منفردة ؟

إميليا : لا تعنفنى . عندى لك شىء ما .

ياجو : شىء لى . إنه لشىء شائع .

إميليا : أواه

ياجو : شائع أن تكون للرجل امرأة حمقاء

إميليا : أهذا كل ما عندك ؟ ماذا تعطينى بدلاً من هذا المنديل ؟

ياجو : أى منديل ؟

إميليا : أى منديل !! ذلك الذى كان أول هدية من المغربى

لديدمونه والذى طالما سألتنى أن أختلسه .

ياجو : أسرقته ؟

إميليا : لا وإنما سقط منها سهواً بحضورى فالتقطته

وها هو ذا . انظر .

ياجو : نِعَم البَيِّتَةُ أَنْتِ ؛ أعطينى إياه .

إميليا : ماتنوى فعله به وقد ألححت على ذلك الإلحاح باختلاسه .

ياجو (مختطفاً منها المنديل) : أَيْعْنِيكَ هذا ؟

إميليا : إذا لم يكن منه مقصد ذو بال فأعده إلىَّ فإن تلك

السيدة المسكينة سيصيبها مَسٌّ إذا فقدته فلم تجده .

ياجو : احذري أن يُظنَّ بكِ وأنا في حاجة إليه . اذهبي

ودعيني (تخرج إميليا) سأطرح هذا المنديل في مَسْكِنِ

كاسيو بحيث يجدّه . أمثال هذا الشيء التافه أفعُلُ

في الغيور من تحقيقات الكتب المقدسة وربما جرّ

هذا المنديل أمراً . المغربي آخذ بالتغير من تأثير سمي

على أن العقاقير الخطرة هي بطبيعتها سَمَامٌ أولُ

طعمها غيرُ كريه ولكن متى ابتدأ فعلها في الدم

أحرقَتْ إحراقَ مَنَاجِمِ الكبريت...ها هو ذا قادم ،

لا الخشخاش ولا غيره من المرقدات القوية يعيد

إليك بعد الآن المنام الهادي الذي كنت تنامه أمس .

(يعود عطيل)

عطيل : أها أها ، أجدها تواريني .

ياجو : حسبك يا سيدي لا تفكر في هذا بعد .

عطيل : وراء . إليك غنى . لقد مددتني على خُشْب التعذيب .
 أقسمتُ إنه خيرٌ للإنسان أن يُخدع كثيراً من أن
 يعلم بخديعته قليلاً .

ياجو : ما بك يا مولاي ؟

عطيل : أيُّ إحساسٍ كان يخامرني في تلك الساعات الغرامية
 التي خالستُ بها النعيم . لم أكن لأظنَّ هذه الظَّنة
 ولا لأخطرها على بالي وكنت لا أتألم . في الليلة
 المنصرمة نمتُ مستقرّاً وبي فرح وسكينة فكر ولم
 أستكشف على شفتيها قُبَل كاسيو . لا ينبغي إبلاغُ
 الذي سرق له شيء أنه سرق فإذا لم يفتقده فكأنه لم
 يجلس منه شيء ألبتة .

ياجو : يحزنتني ما أسمعُ .

عطيل : لكان يسرني أن يتمتع الجنودُ كلُّهم ومعهم أعوانهم
 الصبيان بحسبها الرقيق على أن لا أعلم . أما الآن
 ففراقاً أبدياً لراحة النفس . فراقاً للسرور . فراقاً
 للكتائب التي تزدهي خوذةها بالريش الناصع .

وللحروب الكبيرة التي تجعل الطمع فضيلة . أواه .
 فراقاً للخيل الصاهلة وللبوق العزّاف وللطبل الذي
 يَشُبُّ حرارة النفس وللمزمار الذي يَصْفِرُ في الأذن
 وللرايات الملكية ولسائر الأشياء التي تَنجُمُ عنها
 الكبرياء والعظمة والمفاخرُ الحربية
 وأنتِ أيتها الآلات المهلكة التي تحاكي بالإرغادات
 الخارجة من أفواهها الهدّادة صِيحَاتِ النشور وداعاً
 وداعاً إن حياة عطيل قد انتهت .

ياجو : أهذا ممكن يا مولاي ؟

عطيل : أيها النمام الواشى جئني بما يُثَبِّتُ أَنَّ حبيبتى مومس ..

لا تبطئي . أرني بعيني وإلا (يقبض على عنقه) حلفت
 بقيمة النفس الخالدة ليكون خيراً لك أن تكون
 مخلوقاً كلباً من أن تَلْقَى هَبَّةَ رجزى

ياجو : أوصلت الأمور إلى هذا الحد ؟

عطيل : أرني بعيني أو أيدى برهانك بحيث لا يفوتك ذكرُ
 جزئية أو حالة مما يعلقُ به الريب وإلا فتباً لحياتك .

ياجو : أى مولاي الشريف .

عطيل : إن كنت قد فعلت لتسبى ظنى بها وتعذبنى فلا تُصلِّ

بعد الآن بتاتا . أخرج عن إنسانيتك بالمرة . راكم

فضائعَ فوق فضائع . ارتكب جرائم تبكى منها السماء

وتتقضى لها الأرض عجبا لأنك لا تستزيد فى يوم الله

شيئا على ما ستناله من العقاب الذى يفوق كل هذا .

ياجو : يا لرحمة الله . يا للسماء ساحبىنى . هل أنت رجل

— هل لك نفسٌ أو إحساس . أعانك الله . أقلنى

من خدمتى . ويحى من حقير أبله جعل وفاءه ذنبا

له . ويل لهذه الدنيا الخؤون . اعلمى اعلمى يا دنيا

ما أخيب الأمانة ، وما أغدر الاستقامة — حمدا لك

على هذه العظة وأبى الله بعدها أن أحب حبيبا ما دام

الولاء جللا بل مثل هذه المهانات .

عطيل : لا ، أقم ، كان يجب أن تكون وفيا .

ياجو : كان يجب أن أكونَ حكيما لأن الأمانة حمقاء

ومَضِيعةٌ للمشوبات .

عطيل : والعالمين إنني لأعتقد طهارة امرأتى ثم لأعتقد أنها
غير طاهرة . بل أظن أنك صادق ثم أظن أنك غير
صادق ، لا بد لي من برهان ، إن اسمها كان أنصع
من وجه دبانا فأصبح الآن أقم أسود كوجهي -
لئن كان في الدنيا حبال . خناجر . سموم . نار .
أنهار تُغرق فلست بمحتمل هذا . ما أظمأني إلى
ترضية لنفسي .

ياجو : أجد يا سيدي أن الغرام يغولك وأندم على ما ألحقته
بك من الأذى أفتريد البرهان ؟
عطيل : أأريد ؟ ! نعم أريد .

ياجو : ذلك إليك . ولكن كيف تريد أن أجيئك بهذه
الترضية يا سيدي . أتبتغي مني شاهداً يقف جامداً
مفتوح الفم يتفرس فيها وهي مع الرجل .

عطيل : موت وهلاك . أو اه .

ياجو : يصعب علينا فيما أظن أن نحتال عليهما بحيث يؤخذان
على هذا الشكل بل من المستحيل أن يراها على فراش

واحد غيرُ الشيطان . وعلى هذا ... فما تكون الترضية
 حيث لا يحتمل أن يظهر أحد بهذا المظهر ولو كانا
 أَفْسَقَ من تيسين وأَحْمَى من قردين وأشدَّ قِحَّةً في
 البهيمية من ذئبين وأقلَّ احتِراساً وحِذاراً من غبيين
 مخمورين . أما إذا كان الاستنتاج من وقائع واضحة
 الدلالة موصلة إلى أبواب الحقيقة كافياً لما تشاء من
 الترضية فالترضية بين يديك .

عطيل : أعطني برهاناً حسيّاً أنها زانية .

ياجو : قُبِّحَتْ من خدمة . ولكن بما أني جريت هذا

الشوط البعيد في المكاشفة مندفعاً بدافع الجنون الذي

ابتلّتي به الصداقة والنزاهة فإنني لأزيدك بياناً .

كنت بائناً منذ ليال مع كاسيو وبى ألم في الأسنان

أَرَقَّنِي لشدته فلما اتقضى الهزيع الأول تيننتُ أن

كاسيو يرى حُلماً . ومن الناس أفراد خلقت نفوسهم

على غير الكتمان فيذكرون شؤونهم في منامهم . . .

ومنهم صاحبى . سمعته يقول وهو مستغرق في رؤياه :

« يا حبيبتى الجميلة ديدمونه لنكن حَذِرِينَ وَلْنُخَفِ
غرامنا » .. وحينئذٍ يأسىدى أمسك ييدى يَشُدُّهَا
ويصيح : « يالك من حسناء شهية » ثم طفقَ يَلْثُمُنِي
بقوة كأنه كان يود أن يقتلع القُبْلَ الذَابِتَةَ على شفيتها
من أصولها ثم ألقى بساقه على فخذي وتنهد واعتقنى
ثم صاح : « لعن الله الحظ الذى وهبك للمغربى » .

عطيل : فظيع فظيع ..

ياجو : لم يكن إِلَّا حُلُمًا ..

عطيل : بلى ولكنه جاء دليلاً على شيء تم سابقاً ، وإنه لدليل
قاطع على كونه مناماً .

ياجو : وبه تتعزز البراهين السالفة التى تظهر واهية .

عطيل : سأمرقها تمرقاً .

ياجو : بلا ريب ولكن كن متئداً إذ أننا لم نر بعد أمراً تم

وقد تكون عفيفة . بقى أن تقول لى شيئاً ذابال .

ألم ترَ قط فى يد امرأتك منديلاً عليه رسم الشليك .

عطيل : أعطيتها منديلاً بهذا الرسم وهو أول ما أهديته إليها .

ياجو : أول ما أهديته إليها أو آخره لا أعلم . غير أنني رأيت
 منديلاً من هذا الشكل — وأعتقد أنه لهما — بيد
 كاسيو وكان يمسح به لحيته في هذا الصباح .

عطيل : إن كان هو منديلي . . .

ياجو : إن كان هو الذي تعنيه أو آخر مما تملكه ففيه
 ما ينطق بذنبها تعزيزاً لما تقدّم من البراهين .

عطيل : ويلاه . علام لا يكون لذلك الشحاذ أربعون ألفاً
 من الأعمار . إن عمراً واحداً دون الكفاية لا تتقاي .

الآن تبينت أنها في الحق زانية . . انظر ياجو ، هذه

نفخة أصدّدها إلى السماء ذلك الغرام النّاري ، لقد

ذهب . يا أيها الانتقام المدّهم ارتفع من أعماق جهنم ،

ويا أيها الحب تنازل لاستبداد الغضب عن تاجك

وعرش قلبي ، ويا أيها الصدر أرزح تحت حملك فإنما

جملك من السنة الأفاعي .

ياجو : لا بد لك من التمالك .

عطيل : دماً دماً دماً .

ياجو : تحمل ، تجلد ، وربما تغير شعورك .

عطيل : ان يتغير . . . أعرفت كيف تجرى التيارات القارسة

الجامحة من مبعثها في بحر البُنْط^(١) إلى مستقرها في

بحر الظلمات لا يردها الجزر بل تنطلق إلى غايتها

في منهاج قويم كذلك عزائي النَّصَّاحَةُ بالدماء قد

اندفعت إلى الأمام بقوة ولن ترجع إلى الوراء ، لن

تعود إلى حمي ذلك الغرام الوديع ، بل تستمر في سيرها

حتى تغور جميعها في انتقام عظيم على قدر الإهانة .

الآن وجب على بحق تلك السماء المرمية التي أراها

هناك أن أثبت وعيدي بحيث أجعل تحقيقه خروجاً

من يمين مقدسة . (يجنو)

ياجو : لا تهض (يجنو أيضاً) اشهدى أيتها الأنوار التي

تأجج في عل سرمداً وأنت أيتها العناصر المحيطة بنا

من كل جانب ، اشهدى أن ياجو يستخدم لإنصاف

عطيل مما لحق به من العار عقْلَه وقلْبَه ويَدَه ، ليأمر

(١) خص هذا البحر بالذكر لأن تياراته تندفع ولا تعود .

عطيلٌ ومهما يكن ما يكلفني إياه عملاً دَمَوِيًّا مُوَبِّقًا
فإنتى لفاعله بعقيدة أنه فعلٌ وفاء ورحمة .

عطيل : أتلق هذا العهد الودى منك لا بكلمات شكر فارغة

بل بقبول حسن من قلبي . وإني لمختبر قَسَمِكَ حَالًا .

أخبرني إلى ثلاثة أيام إن كان كاسيو قتل .

ياجو : لقد هلك صاحبي وهو أمرٌ مقضىٌ بناءً على إشارتك

ولكن لتعش هي .

شعور بالحد

: لتفترسها النار ، تلك البغي الخبيثة . لتفترسها النار .

عطيل

تعال معي إلى مكان ننفر دفيه لأبحث عن ميتة سريعة

لتلك الجنية الجميلة . كن ملازمي منذ الساعة .

المشهد الرابع

تجاه القصر

(تدخل ديدمونه وإميليا والمضحك)

ديدمونه : أتعلم يا هُزْأَة أين مَسْكِن كاسيو ؟

المضحك : لا أجسر أن أقول إن له مسكنًا .

ديدمونه : لَمْ أَيِّهَا الصَّاحِبُ ؟

المضحك : لِأَنَّهُ عَسْكَرِي وَمَنْ قَالَ لِعَسْكَرِي إِنْ لَهُ مَسْكِنًا
تَعَرَّضَ لَخَنْجَرِهِ .

ديدمونه : غَرِيب ! وَأَيْنَ يَقِيمُ ؟

المضحك : لَوْ أَخْبَرْتُكَ أَيْنَ يَقِيمُ لِأَخْبَرْتُكَ أَيْنَ أَكْذِبُ .

ديدمونه : أَيْمَكُنْ تَصِيدُ مَعْنَى مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ؟

المضحك : لَا أَعْلَمُ أَيْنَ يَقْطُنُ فَإِذَا اخْتَرَعْتَ لَهُ مَسْكِنًا عُدَّتْ
ذَلِكَ اقْتِرَاءً خَارِجًا مِنْ حَلْقِي .

ديدمونه : أَتَسْتَطِيعُ السُّؤَالَ عَنْهُ وَمَعْرِفَتَهُ ؟

المضحك : سَأَذْهَبُ بِشِيرَاءٍ وَنَذِيرًا فِي شَأْنِهِ بِمَعْنَى أَنِّي سَأَلِقِي
أَسْئَلَةً عَلَى النَّاسِ ثُمَّ أَجِيبُكَ بِمَا يَقُولُونَ .

ديدمونه : ابْحَثْ عَنْهُ ، مَرَهُ أَنْ يَحْضُرَ ، قُلْ لَهُ إِنِّي شَفَعْتُ فِيهِ
لَدَى مَوْلَايَ وَأَرْجُو أَنْ تَقْضَى حَاجَتُهُ .

المضحك : فَعَلْتُ هَذَا مِمَّا قَدْ يَسَعُهُ عَقْلُ الْإِنْسَانِ وَلِهَذَا سَأَحَاوَلُهُ .
(يَخْرُجُ)

ديدمونه : أَيْنَ تَظُنِّينَ أَنِّي فَقَدْتُ ذَلِكَ الْمُنْدِيلَ يَا إِمِيلِيَا .

إميليا : لا أدري يا سيدتى .

ديدمونه : كان أهونَ عليَّ أن أفقد كيس تقودى ملآن قطعاً ذهبية من فقده لأنه لو لم يكن سيدى الشريف عادلَ الضمير خلياً من دناءات الغيرة لكان ذلك مما يشير عنده الظنون السيئة .

إميليا : أليس غيوراً ؟

ديدمونه : من ... ؟ هو ... ! أظن الشمس التى ولد تحتها أجفت عنده أمثال هذه الوبالات .

إميليا : انظرى . هاهو ذا مقبل .

ديدمونه : سأعيد الكرة عليه الآن ولست تاركته حتى يصفح عن كاسيو .

(يدخل عطيل)

ديدمونه : كيف حالك يا سيدى ؟

عطيل : على المرام يا سيدتى الكريمة . ما أصعب المراجعة .

وكيف أنت يا ديدمونه ؟

ديدمونه : كما تحب يا سيدى .

عطيل : هاتى يدك . هذه اليد نضيرة ياسيدتى

ديدمونه : لم تشعر بعدُ بالسنينَ ولا بالحزن .

عطيل : تدل على قلبٍ غنى وَسَمَح . يدك دافئة . دافئة ونضيرة .

ما أحوجهما إلى الحب في دير والصيام والصلاة
وضروبٍ كثيرة من أعمال التوبة والتقى ذلك لأن
هناك شيطانًا فتياً سريع العرق قريب الثوران .
إنها ليدٌ طيبة وحررة .

ديدمونه : يحق لك تقريظها لأنها هى التى أعطتك قلبى .

عطيل : أكرمُ بها من يد . قبلاً كانت القلوبُ تعطى
الأيدي أما الاصطلاح الحادث الآن فأن تعطى
الأيدي القلوب .

ديدمونه : لا كلام عندى فى هذا المعنى فلا أسلك عما أنت فاعل
بوعدك .

عطيل : أى وعد يا دجاجتى ؟

ديدمونه : أرسلت أستدعى كاسيو للقائك .

عطيل : بى زُكامٍ عنيفٍ ثقيلٍ يزعجنى . أعيرينى منديلَكَ .

ديدمونه : هاهو ذيا سيدي .

عطيل : أريد الذي أهديته إليك .

ديدمونه : ليس معي .

عطيل : لا ...

ديدمونه : لا ياسيدي .

عطيل : هذه غلطة : إن ذلك المنديل وهبته امرأة مصرية

لأُمِّي وكانت تلك المصرية ساحرة تكاد تعرف ضمائر

الناس . قالت لأُمِّي وهي تدفعه إليها : إنه يجعلها

محبوبة ، ويخضع لها غرام أبي ما دامت محتفظة به .

فإذا فقدته أو أهدته فعين أبي تنصرف عنها انصراف

بغضاء ، ونفسه تتحول إلى البحث عن سواها . ولما

حضرت أُمِّي الوفاة أعطتني وأوصتني إن تزوجت

أن أمنحه لخليتي وهكذا فعلت . فأرغب إليك في

استبقائه وصيانتِه وأن تحبيه كحديقة العين الثمينة لأنه

إذا فقد كان فقدُه خسارة لا تُستعاض .

ديدمونه : أيعقل هذا ؟

عطيل : بل هو الحقيقة لأن في نسيجه سِحراً وما نسجته إلا
 عرافةٌ شهدت دورانَ الشمسِ مئتي مرةً أما الديدان
 التي أخرجت حريره فقد كانت مَرْقِيَةً أيضاً وأما
 الحرير فقد صبغ بعصيرِ المومياتِ مُسْتَقْطِراً من
 قلوب العذارى ومَصُوناً بعناية العلماء .

ديدمونه : أهذا صحيح ؟

عطيل : غاية في الصحة وعليه أوصيك بالحرص كُلِّ الحرص
 على ذلك المنديل .

ديدمونه : إن كان ما ذكرت فليتني لم أراه قط .

عطيل : لماذا ؟

ديدمونه : ما بالك تتكلم هكذا بِعَجَلَةٍ وَوَجِيفٍ^(١) .

عطيل : أفقد ؟ أأضعت ؟

ديدمونه : راعانا الله .

عطيل : ما رَدَّكَ ؟ !

ديدمونه : لم أَضِلِّهَ ولكن لو حدث ذلك .

(١) ارتجاف مع انقباض

عطيل : كيف تقولين ؟ !

ديدمونه : أقول لم يضع .

عطيل : جيئني به الآن فأراه .

ديدمونه : سأفعل ياسيدي ولكن بعد الآن . إنما هي حيلة

ابتدعتها لعدم إجابة التماسي . أكرر توسلي إليك

ياسيدي أن تغفر لكاسيو .

عطيل : اذهبي وأحضري لي المنديل — تاه فكري .

ديدمونه : دع عنك هذا إنك لن تجد رجلاً كفاً منه .

عطيل : المنديل ..

ديدمونه : رجل وقف سعدة من أول عمره على صداقته لك

وشاطرك الأخطار ..

عطيل : المنديل ..

ديدمونه : حقيقة إنك لتلام .

عطيل : إلى الوراء (يخرج)

إميليا : أليس هذا الرجل غيوراً ؟

ديدمونه : لم أر فيه قبل الآن شيئاً من مثل هذا . لا بد أن

يكون في ذلك المنديل سرٌّ عجيب وإننى لشقية بأننى
فقدته .

إميليا : جرت العادة أن يكون الرجال بعد سنة أو سنتين
من الزواج كما هو الآن . إن هم جميعاً إلا مَعَد وإن
نحن جميعاً إلا غداء يأكلوننا بنهم فإذا امتلأوا
تقايأونا . انظرى هذا كاسيو وزوجى . .

(يدخل كاسيو وياجو)

ياجو : لا وسيلة غيرها وهى وحدها التى يجب أن تنقذك .
ما أسعد طالعك ها هى ذى . اذهب إليها وألحف .
ديدمونه : واهماً يا صديق كاسيو ما عندك من النبأ عن شأنك ؟
كاسيو : أنا لا أزال على التماسى الأول يا سيدتى ، أبتهل إليك
أن تشفعى لى بما فطرت عليه من الرحمة لأعيش
وأعود إلى صداقة الرجل الذى أجلّه كل الإجلال .
ثم بودّى أن أعرف مصيرى معه فى أقرب وقت ،
فإذا كانت هفوتى من الهفوات التى لا تغتفرها لى
خدِمتى السابقة وندامتى الحاضرة وإخلاصى الذى

أنويه للمستقبل فليكن آخرُ إحسانٍ منك أن
تشريني بذلك فأقبل بما قُسم لي على كره مني
وأختط لنفسى خُطةً أخرى تاركاً مآلى بين أيدي
الأقدار ..

ديدمونه : أواه أيها الرجل النبيل كلَّ النبيل إن توسلاتي لم تجد
إلى الآن وقد تنكر على مولاي منذ هنبهة حتى كان
غير ما أعهدده. ولو تغير وجهه كما تغير خُلقه لما عرفته—
ليت الأرواح العلوية مسعداتي بقدر ما شفعت لك
عنده فلقد أصرت وكررت حتى انتهيت إلى شفا
كدره . فلا بدَّ لك من التجلد وسأفعل لأجلك
أكثر مما أجسر على فعله لأجل نفسي فليكفك هذا.
ياجو : أمولاي غضبان ؟

ديدمونه : قد خرج الآن من هنا وهو بلا ريب في اضطراب
غريب .

ياجو : لم أعهدده يغضب .. رأيتَه والمدفعُ يظيرُ بكتائبه
مبعثرة في الهواء يهجمُ هجمة الشيطان وينقذ أخاه

بيده . . ثم هو الآن يغضب . لا بدَّ من أمرٍ ذى
 بال سأذهب للقائه . إنه إذا حنقَ فلسببٍ خطير .
 ديدمونه : افعل بتوسل منى (يخرج ياجو) لا بدَّ أن يكون
 هناك معضلةٌ من معضلات الحكومة أو أمرٌ وفد
 من البندقية أو مؤامرةٌ علم بتدبيرها فى قبرس قد
 غشَّت عليه صفاء فكره . وفى أمثال هذه الأحوال
 تضطر النفوسُ الكبيرةُ الغايات أن تشتغل
 بالهناك الصغائر . مثلاً بذلك كمثل الذى تولَّمهُ
 إصبَعُهُ فيجدُ شعورَ الألم فى سائر جوارحه السليمة .
 على أن الرجال ليسوا بآلهة وما علينا أن نكفهم على
 الدوام مجاملتنا كما يفعلون أيام العرس — عنفنى
 بشدة يا إميليا لأننى كنت شارعةً فى التظلم من
 قسوته لدى محكمة ضميرى أما الآن فأرى أننى
 رشوتُ الشاهدَ وأننى ألقيت التهمة بغير صواب .
 إميليا : لنضرعُ إلى الله أن يكون ما بهِ أمراً من أمور
 الحكومة كما فكرت لا جنَّةً من جنَّات الغيرة .

ديدمونه : ويحي لم أفعَل قط ما يَسْتَفْزِرُ غيرته .

إميليا : غير أن النفوس الغيورة لا تهتم بالبراءة ولا تحيئها

في الغالب نَوْبَاتُهَا عن سبب بل تغار لأنها تغار وما

الغيرة إِلَّا بهيمة شاذة تلقح من نفسها وتتولد

من نفسها .

ديدمونه : وفي الله قلب عظيم من تلك البهيمة .

إميليا : آمين يا سيدتي .

ديدمونه : سأذهب لأستقدمه . كاسيو تنزه قليلاً بقرب هذا

المكان فإذا وجدته في ساعة رضى دافعتُ عنك

وبذلت مجهودي في كسب دعواك .

كاسيو : أشكر مرحمتك بكل خضوع (تخرج ديدمونه وإميليا)

(تدخل بينكا)

بينكا : حياك الله ورعاك يا كاسيو .

كاسيو : ما تصنعين خارج البيت . كيف حالك يا عزيزتي

الجميلة جداً ؟ تالله لقد كنت على عزم التوجه إليك ..

بينكا : أنا كنت ذاهبةً إلى منزلك . أيمضى أسبوع ولا

تزور . سبعة أيام وسبع ليال ، مئة وثمان وستون
ساعة ، على حين أَنَّ ساعاتِ هجرِ العشيقِ أشدُّ
تبريحاً من ساعاتِ التوقيتِ بمائة وستين مرة . يا لله
ما أَقْبَحَهَا سَأْماً وضجراً .

كاسيو : سامحني يا بينكا نكبت بما أقصاني عنك في هذه
الأيام كلها . . ولكنني سأعِيضُ مافات بما هو آت .
أى عزيزتى الكريمة بينكا . انسخي لى مثلاً من
هذا المنديل .

بينكا : من أين جاءك هذا يا كاسيو ؟ لا بد أنه هدية من
صديقة جديدة . . لقد فهمت سبب ذلك الجفاء
سنرى سنرى .

كاسيو : تَخْلِطِينَ يا امرأة . أَلْقِ بظنونك البشعة في وجه
الشیطان الذى أوحاها إليك . أَتَغَيِّرِينَ من تخمينك
أن لى رفيقة جديدة . كذبك وهُمُك وعهدِ الوفاء .

بينكا : إذن من أين جاء هذا ؟

كاسيو : لا أعلم ، وجدته في غرفتى وأحببت صنعه كثيراً ،

لذلك سألتك صنع غيره على مثاله قبل أن يطلبه
أربابه ، أرجو منك وأتوسل إليك أن تنقلني إلى هذا
المثال . والآن دعيني .

بينكا : لماذا أدعك ؟

كاسيو : أترقبُ القائد هنا وليس من مصلحتي ولا من
أمنيتي أن يراني مع امرأة .

بينكا : ولم هذا التحاشي ؟

كاسيو : ليس من عدم الحب .

بينكا : بل من كونك لا تحب «إيأي» تكرم عليّ واصحبني
قليلاً وأجبنني : أتزورني الليلة أم لا ؟

كاسيو : لا أستطيع مرافقتك إلا بعض الخطى إذ لا محيص لي
من انتظار القائد هنا لكن سأراك قريباً .

بينكا : لا بأس إنني أدع التشديد الآن مراعاةً للحالة (يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

قبرس — أمام القصر

(يدخل عطيل وياجو)

ياجو : أيدخلك مثل هذا الظن ؟

عطيل : مثل هذا الظن ؟

ياجو : لأجل قبلة اختلست على انفراد .

عطيل : قبلة غير جائزة . . .

ياجو : أولاً أجل قضاء ساعة أو أكثر مع المحبوب في سرير واحد .

عطيل : أيعرّيان ويدخلان السرير بدون قصدٍ أثيم . ياجو هذه مُدَا جاة^(١) للشيطان . إن الذين يخلون هذه الخلوة لو طهرت نياتهم لامتنعهم إبليس وامتنعوا الله .

ياجو : إذا لم يفعلوا شيئاً فهي هفوة عرضية أما إذا أعطيت
امراًتى منديلاً ...

عطيل : فما يكون ؟

ياجو : يكون عندئذٍ ملكاً لها ولها فيما أعتقد أن تمنحه لمن
تشاء .

عطيل : هي أيضاً أمينة على عرضها أتستطيع أن تهبه ؟

ياجو : عرضها شيء لا يرى وكثيراً ما يحدث أن الذين
لا عرض لهم هم بالذات أصحاب العرض . أما المنديل ...

عطيل : بالله العظيم لقد كنت أودّ لو أنساه ... أتمم جملتك ...

لكن ذكره يعود إلى رأسى كما يعود إلى البيت

المتداعى غرابُ البين يَنْعَقُ بالويلات ... كنت

تقول إن المنديل وجد معه ؟!

ياجو : فدلّيل أى شيء هو ؟

عطيل : كيف كانت دلّالته فما هي بالشىء النظيف .

ياجو : إذن ما كنت تصنع لو أبلغتك أنى رأيتَهُ يَسْلُبُ

عرضك أو أنى سمعته يقول كيت وكيت كما يفعل

بعض الشذاذ الذين إذا قَضَوْا لِبَاتِهِمْ من معشوقتهم
سواء بالخافاتهم المزعجة أم بتشخيصاتهم المؤثرة لم
يملكوا الكتمان .

عطيل : وما الذى قاله ؟

ياحو : إنه ... فعل ما لستُ أتذكر ...

عطيل : أى شىء أى شىء ؟؟

ياجو : إنه بات ...

عطيل : معها ؟

ياجو : معها ... بقربها ... كما تشاء !

عطيل : معها .. بقربها .. خطبٌ رائع . المنديل ..

الإقرارات .. المنديل .. ليعترف ثم ليشنقُ جزاءً

وفاقاً بل ليشنقُ أولاً ثم ليعترف .. أرتجفُ لمجرد

تصورى تلك الخيانة . ولولا أنها وقعت وأسرّتها

إلى الطبيعة لما بلغ الاضطرابُ منى هذا المبلغ . ليس

الذى يَقْلِبُنِي عَالِياً إِلَى سافل كلماتٍ فقط .. لعنة الله

عليهما .. أنفاهما .. آذانهما .. شفاهُهما .. أفى

التصوّر ما كان .. ليعترف — المنديل — يا للشيطان

(يعنى عليه)

ياجو : فعلك يا طيبي فعلك. الحق المصدقون يؤخذون هكذا،
وهكذا تقع السعاية على كثيرات من الخواتين^(١)
العفيفات — صحوأ سیدی ... سیدی ... صحوأ
عطيل .

(يدخل كاسيو)

ياجو : كاسيو ؟ !

كاسيو : ما أرى ؟

ياجو : أغمى على مولاي .. أمس مرة وهذه الثانية .

كاسيو : أفرُّك صُدْغِه .

ياجو : لا ... قف ... لا ينبغي تحريكه في الإغماء وإلا

أزبد فمه وهبَّ هبَّة جنونٍ وحشَى ... انظر .

يضطرب .. تغيب قليلاً . سيرجع إلى حسه وعندما

ينصرف أريد أن أفوضك في أمر ذى بال

(يخرج كاسيو) كيف أنت الآن أيها القائد ألم تجرح
في رأسك ؟

عطيل : تسخر مني ؟ !

ياجو : أنا أسخر منك ؟ لا والسما . . عساك أن تتحمل
قسمتك تحمل الرجال .

عطيل : رجل ذو قرنين لا يكون إلا خلقاً مخطئاً أو حيواناً .

ياجو : يوجد إذن في مدينة مأهولة كثير من الخلائق
المخطئة ، وكثير من البهائم في زى الحضارة .

عطيل : هل أقر بما فعل ؟

ياجو : سيدى الكريم كن رجلاً تصور أن كل ذى لحيّة

مشدود إلى امرأة يستطيع أن يحمل حملك . من

الناس في هذه الساعة ألوف ألوف يبيتون ليهم في

مضاجع قاسمتهم إياها الجماهير ويزعمون أنها لهم

خاصة أما أنت فحظك ما زال أصلح من حظوظ

هؤلاء . . . لكن أجد من جهة أخرى أن من

سخریات جهنم ومبالغات الرجيم في الرزايا عناقك

لا امرأة فاسقة في فراش شرعى وتحسبها طاهرة ...
 لا ... خير لك ثم خير لك أن تعرف كل شيء فإننى
 متى عرفت ما أنا عرفت أيضاً مصيرى .

عطيل : أنت عاقل بلا مرأى .

ياجو : الزم السكينة قليلاً واكتفِ بالإصغاء متجهداً أسمعك
برهاناً جديداً .. جاء كاسيو إذ كان مغمى عليك من
 الألم . وهو مالا يليق برجل مثلك فأبعدته معتذراً
 بعلتك وأوصيته أن يعود لمخاطبتى بعد هنيهة . فالتمس
 لك هنا مكاناً تجثم فيه والمخ إشارات الهزء
 والاحتقار التى تبدو على وجهه حين أكله عنها
 وسأحتال عليه بحيث يقص على قصته مع امرأتك
 ويقول أين . وكيف . ومتى . وكم مرة اجتمع بها
 أو ينوى أن يجتمع . تنبه وحسبك أن ترقب
 حركاته . يا لله . صبراً وإلا شهدت أنك الهزء
 مشخصة برأس وقدمين وأن لا شيء فيك من
 الرجل .

عطيل : اسمع يا جوستري أننى جليد كل الجلد ولكنى اعلم
أيضاً . سفاح فى الغاية .

ياجو : مهما تقتل لا تدرك حق ثأرك غير أنه يحسن عمل
كل شىء فى ميقاته أتريد أن تتوارى ؟ (يختبئ عطيل)
الآن سأسأل كاسيو عن بينكا العاهرة التى تباع
محاسنها وتشتري خبزاً وملابس . هذه الفاجرة
مجنونة بكاسيو لأنه من مصائب البغيات أن يخدعن
أولفاً ويخدعن واحداً - فمتى سمع ذكرها لم يملك
أن يضحك حتى يشرق .. أراه قادماً ومتى تبسم
أصبح عطيل مجنوناً وأولت غيرته الفاحشة كل
رمز يرمزه من تبسم وإشارة أسوأ تأويل على
المسكين كاسيو .

(يدخل كاسيو)

ياجو : كيف أنت الآن أيها الملازم ؟ !

كاسيو : كما يكون القتل ، وإننى لقتيل بفقدى اللقب الذى
تلقبني به .

ياجو : أصرر على التماس الشفاعة من ديدمونه وثق بالنجاح
(بصوت خافت) أما لو كانت أمنيته عالقة برداء
بينكا لتحققت سريعاً .

كاسيو : مسكينة تلك الإنسانية .

عطيل (في مكنه) : انظر كيف طفق يضحك !

ياجو : لم أر قط امرأة تحب رجلاً هذا الحب .

كاسيو : ويحبها من خاطئة أظن على ذمتي أنها تحبني .

عطيل (في مكنه) : ها هو ذا ينكر الجريمة بتراج لكن يضحك
لذكرها كثيراً .

ياجو : أسامع يا كاسيو .

عطيل (في مكنه) : إنه الآن يُحْرِجُهُ لِيَحْمِلَهُ على الإخبار .
أحسنتم أحسنتم

ياجو : تُشِيعُ أنك ستقترن بها . أهذه أمنيته .

كاسيو : ها ها ها ..

عطيل (في مكنه) : أفائز أيها الروماني أفائز ؟

كاسيو : أنا أفترن بها . بمومس . هب عقلي شيئاً من حسن

ظنك ولا يكن رأيك في هذا الرأي العفن هاهاها .

عطيل (في مكانه) : كذا كذا الظافرون يضحكون .

ياجو : بذمتي إن إشاعة زواجكما متناقلة .

كاسيو : بحياتك قل لي الحقيقة .

ياجو : إن لم يكن قولي الحقيقة فلا كنت إلا محض مجرم مزور .

عطيل (في مكانه) : طُبِعَتِ السَّمَةُ على جبهتي لا بأس .

كاسيو : إن هي إلا إشاعة صادرة عن تلك الوقحة تظن أنني

أتأهل بها عن زهو وخيلاء منها لا عن وعد مني .

عطيل (في مكانه) : ياجو يشير إلى . . سيبدأ القصة .

كاسيو : كانت هنا من هنية ودأبها أن تدركني في كل مكان .

ومن جنونها أنها لحقت بي إلى شاطئ البحر منذ أيام

وكنت أحداث بعض البندقيين فجاءت وطوقت

عنقي هكذا . . .

عطيل (في مكانه) : وهي تصيح : « يا حبيبي كاسيو » . أكاد

أسمع ما يقوله لفصاحة إشارته .

كاسيو : علقت بعنقي وأخذت تترجح وتبكي وتدفعني وتجذبني .

هاهاها .

عطيل (في مكنه) : يخبره كيف أدخلته غرقها آه إني أرى
أنفك .. لا بل أرى الكاب الذي سألقيه إليه .

كاسيو : لا بد لي من مقاطعتها .

ياجو : ليس بحضورى .. التفت تجدها مقبلة .

كاسيو : هذه مفتونتي يسطع عطرها إلى هذا المكان .
(تدخل بينكا)

كاسيو : ما مرادك من مطاردتي هكذا ؟

بينكا : طاردك الشيطان وأنشأه ما كان مقصدك من هذا

المنديل الذي دفعته إلى منذ قليل . غلبت على الغفلة

فصدقت أنك تستنسخ رسمه . أومن المعقول أن تجد

مثل هذا الشيء الثمين في غرفتك من غير أن يكون

أحد قد تركه ، هذا بلا شك هدية من عاهرة ما ،

وأنأ كلف تصوير مثله . أبى الله أن أفعل . خذه

وأهدِهِ إلى عشيقتك . أيًا يكن مأتاه فلن أقله .

كاسيو : ماذا جرى يا صفتي بينكما ماذا جرى ؟

عطيل (في مكنه) : يا لله لا بد أن يكون هذا منديلي .

بينكا : إذا أردت أن تجيء لتناول العشاء الليلة فأهلاً وإلاً

فتعال حين تشاء (تخرج بينكا)

ياجو : أعد وراءها أدركها .

كاسيو : لا بد لي من ذلك أو تملاً الطرق صياعاً .

ياجو : أتعشى هناك .

كاسيو : هذا إزماعى .

ياجو : لعلى ألحق بك إذ أتى فى حاجة لمفاوضتك .

كاسيو : تعال ولك الفضل . أتجىء ؟

ياجو : كفاية لا ترد (يخرج كاسيو)

عطيل (متقدماً) : أَيَّةُ قِتْلَةٍ أَقْتَلُهُ ؟ أَشِرِّ .

ياجو : أرايت كيف كان يضحك من جريمته ؟

عطيل : ياجو ياجو .

ياجو : وهل رأيت المنديل ؟

عطيل : أكان منديلى .

ياجو : منديلكَ قسماً بيدى ومن الغريب أن تكون هذه عنده

قيمة امرأتك المجنونة التى تعطيه منديلاً ويعطيه بغيّاً .

عطيل : أتمنى لو مكثت تسع سنين أقتله — امرأة جميلة ،
امرأة رشيقة ، امرأة أنيسة .

ياجو : لا بدَّ لك من نسيان كل هذا .

عطيل : نعم ولتذهب إلى حيث تَقْضِي وَلْتَهْلِكْ جَسَماً وَنَفْساً

في هذه الليلة . . . لن تعيش . . . لا . . . إن قلبي قد

تحوَّل إلى حجر ، أضربه ويَجْرَحُ يدي . أواه ليس

في العالم أعذبُ منها امرأة . كان يحق لها أن تقترن

بملك كبير وتأمِّره بما تشاء .

ياجو : ليس هذا ما ستفعله معها .

عطيل : لتشقق . . . ولكن اذكر صفاتها . ما أبرعها في

تقليب الإبرة ، ما أمهرها في الموسيقى . إذا تغنت

أزالت وحشة الضاري غير أنها مع ذلك الذكاء

وتلك الفطنة . . .

ياجو : أجدر بالتثريب .

عطيل : ألف مرة أجدر . ثم ما أشرف مَحْتَدَهَا^(١) .

ياجو : أشرف من أن يعبت به هكذا

عطيل : تجاوزت حده بلا مرأ ولكن يا للغب، ياجو بالخسارة .

ياجو : إذا كنت مغرمًا إلى هذا الحد بفجورها فأعطها إجازة

لارتكاب الخطايا وهذه الإباحة لا تعنى أحدًا غيرك .

عطيل : سَأَهْشِمُهَا هَشِيمًا ، تلك التي عرضتني لهذه المهانة .

ياجو : إن ذنبها لعظيم .

عطيل : تخونني مع تابعي !

ياجو : وهذا ذنب أعظم .

عطيل : هيء لي سَمًّا ياجو ... الليلة . لا أريد أن يجرى

عتاب بيني وبينها مخافة أن يتغلب جسمها وجأها

على نفسي — الليلة يا صاحبي .

ياجو : لا تقتلها بالسَّم أخْنُقْهَا في نفس السرير الذي دنسته .

عطيل : هذا العقاب أعجبنى وهو أفضل .

ياجو : أما كاسيو فدعني أقول القضاء عليه وستعلم بقية

أمرى في منتصف الليل .

عطيل : غاية في الإحسان (يسمع بوق) ما هذا البوق ؟

ياجو : رسول من البندقية بلا شك . . هذا لودفيكو آتياً

من قبل الدوج وهذه امرأتك تصحبهُ .

(يدخل لودفيكو وديدمونه وأتباع لهما)

لودوفيكو: كلاك الله أيها القائد الشريف .

عطيل : مطيعك من صميم الفؤاد يا سنيور .

لودوفيكو: الدوج وأعيان البندقية مرسلون إليك تحياتهم .

عطيل : أقبل الهدنة^(١) الحاملة لمشيئتهم .

ديدمونه : وما وراءك من الأخبار يا ابن عمي لودوفيكو .

عطيل : أنا مسرور برؤيتك يا سنيور مرحباً بك في قبرس .

لودوفيكو: شكر ألك ، وكيف الملازم كاسيو ؟

ياجو : حي يا سنيور .

ديدمونه : يا ابن عمي لقد قام بينه وبين مولاي خلاف أحزنني

لكن أرجو أن تعيد المياه إلى مجاريها .

عطيل : أواثقة أنت من ذلك ؟

ديدمونه : مولاي .

عطيل قارئاً : « وإليك أن تفعل في هذا الأمر ما تراه » .

لودوفيكو: لم يخاطبك بل كان مشغلاً بمطالعة هذا الكتاب .

أوجد شقاقٌ بين القائد وبين كاسيو ؟

ديدمونه : شقاقٌ ساءنى جداً وأرغب فى إزالته كل الرغبة لما لى

من العطف على كاسيو .

عطيل : لهبٌ وملحٌ بارود .

ديدمونه : مولاي .

عطيل : أمعك مُسَكَّةٌ من العقل ؟

ديدمونه : أتراه غضبان .

لودوفيكو: لعل هذا الكتاب أثر فيه فإن به على ما أظن

استدعاه إلى البندقية وتقليد منصبه لكاسيو .

ديدمونه : حبذا البشرى وما أفرحنى بها .

عطيل : الله الله .

ديدمونه : مولاي .

عطيل : أنا فرح بأن أراك مجنونة .

ديدمونه : كيف يا مولاي الكريم .

عطيل : أنت شيطانة (يصفعها) .

ديدمونه : لَمْ أُسْتَحَقَّ هَذَا .

لودوفيكو : لو أقسمت في البندقية أني رأيتك تضربها لما

صدقوني . هذا فوق الطاقة . استغفرها إنها تبكي .

عطيل : يا للشيطانة الشيطانة لو كانت الأرض تلتقحُ بعبراتٍ

لكانت كلُّ دمةٍ تسقط من عيون امرأةٍ تله

تَمْسَاحًا . إليك عني .

ديدمونه (تتجه للانصراف) : أنصرف منعاً لاستيائك .

لودوفيكو : هل في السيدات أطوعٌ منها ، أبتهل إليك يامولاي

أن تدعوها

عطيل : أيتها السيدة .

ديدمونه : مولاي .

عطيل : ما تريد منها ياسنيور .

لودوفيكو : من ؟ أنا ياسيدي ؟

عطيل : نعم . أنت رغبت إلىَّ في دعوتها ولها أن تجيء

وتذهب وتدور وتتقدم وتتأخر كما تشاء ولها أن

تبكي ما تبكي . وهي طيعة كما تقول ياسنيور ، طيعة

جداً .. واصلى البكاء .. أما محتوى هذا الكتاب
 فهو أننى أمرت بالعودة إلى البندقية أوام مما ترهقنى
الآلام — اذهبي وسأبعث فى طلبك بعد هنيهة ..
 سنيور إنى مطيع للأمر وسأرجع للبندقية ..
 توارى من هنا انصرفى . (تخرج ديلمونه) سيتولى
 كاسيو مكانى . سنيور أرجو أن تجيب دعوتى إلى
 العشاء الليلة . مرحباً بك فى قبرس ياسنيور —
 تيوس وقرودة .

لودوفيكو : أهذا هو ذلك المغربى الذى أجمع مجلس أعياننا على
 امتداحه فى كل شيء أهذا هو ذلك الطبع الذى
 لا يستفز الغضب والذى تتعالى شجاعته عن أن
 تنالها ورية زند من زناد العرض أو تصيبها رمية
 من نهام الطوارىء ؟

ياجو : لقد تغير حتى تنكر .

لودوفيكو : أهو مالك عقله ، أو ليس به مس وخبال .

ياجو : هو ما ترى . لا ينبغي لى أن أنتقده . وليته كان كما

يجب ، بل كما يستطيع أن يكون .

لودوفيكو : يا للفضاعة يضرب امرأته .

ياجو : بذمتى لم يكن عمله جميلاً ولعلّه لا يتبعه بأقبح .

لودوفيكو : أهذه عادته أم أثر فيه هذا الكتاب تأثيراً حملاً على

ارتكاب هذه الهفوة ؟

ياجو : ليس مما يقتضيه وفائى أن أخبرك بما رأيت وعرفت .

ستعلم من أفعاله ما يغنيك عن كلامى ، تتبعه وارقب

ما سيكون من بقية أمره .

لودوفيكو : إنى أسيف لما اعتقدته فيه من الخير .

المشهد الثانى

مسكن فى القصر

(يدخل عطيل وإميليا)

عطيل : إذن لم ترى شيئاً ؟

إميليا : ولم أسمع ولم يخامرنى ظن .

عطيل : بلى رأيتهما معاً هى وكاسيو .

إميليا : لكننى لم أَلح ريبة خلال هذه المقابلات ولم يفتنى هجاء مما كانا يقولانه .

عطيل : غريب . ألم يتهاامسا ؟

إميليا : قط يا سيدى .

عطيل : أو لم تبعذك مرة عن مكان الاجتماع ؟

إميليا : قط .

عطيل : لتجئتيها بمرؤحتها أو قفازيها أو حجاب وجهها

أو أى شىء آخر .

إميليا : قط يا سيدى .

عطيل : غريب .

إميليا : أقسم إنها طاهرة يا سيدي وأخاطر على حياتي فإن

كان قد خا مراك ريب فقد خدعت وإن كان ليئيم

غادر قد دس في نفسك هذا الشك فليلعنه الله لعنة

ال شعبان . فوالله لئن لم تكن عفيفة نقيّة صادقة فليس

في الدنيا رجل سعيد وليس في النساء مهما طهرت

الواحدة منهن إلا كل ملوثة كالفضيحة بعينها .

عطيل : أبلغها أمرى بالمجيء (تخرج إميليا) تتكلم بجلاء

ولكنها قوادة كسائر القوادات لا تستطيع أن

تقول إلا ما قالته . أما تلك فبغى حذرة بل غرفة

سوء مقفلة على أسرار نجسة ، ومع هذا رأيتها تجثو

وتصلي . رأيتها . . .

(تدخل ديمونه وإميليا)

ديمونه : مولاي ما مشيتك ؟

عطيل : تعالى إلى هنا يا دجاجتي .

ديمونه : ما الذي تريده .

عطيل : أريني عينيك . انظري إلى مواجهة .

ديدمونه : ما هذه الأمنية المنكرة ؟ !

عطيل (إلى إميليا) : أنت يا سَمَّحة جودى علينا ببعض الخدم التي

تحسنينها . دعى العاشقين مختلين وأتقى الباب ثم

اسْغُلي أو همهمي إذا جاء أحد . إلى مهنتك . امضى .

أسرعى (تخرج إميليا) .

ديدمونه : ألتمس منك جاثيةً أن تقول لى ما معنى هذا الخطاب .

أحسّ فيه الغضب ولكن الألفاظ لا أدرك معناها .

عطيل : أجيبيني ، من أنت ؟

ديدمونه : زوجك يا سيدى ، حليتك المخلصة الصادقة :

عطيل : أقسم على هذا واقضى على نفسك بعذاب الآخرة

إن لم يكن حقاً . إنك لتشبهين الملائكة شهياً يخيف

الشياطين من قبضك ... أقسمى مرتين على حياتك

الآخرة بأنك طاهرة .

ديدمونه : السماء تعلم عفتى بكل تحقيق .

عطيل : السماء تعلم بكل تحقيق أنك خادعة كجهم .

ديدمونه : خدعتُ مَنْ يا سيدى ؟ ولمن ؟

عطيل : آها ديدمونه اذهبي اذهبي اذهبي .

ديدمونه : أواه من هذا اليوم المشؤم لماذا تبكي ، أنا مسببة

هَذَا الْبُكَاءِ يَا سَيِّدِي . إِذَا كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّ أَبِي كَانَ

السَّاعِي فِي رَجوعِكَ فَهَلْ عَلَى مَلَامٍ ؟ وَإِذَا كُنْتَ قَدْ

فَقَدْتَ صِدَاقَتَهُ فَقَدْ فَقَدْتَهَا أَنَا أَيْضًا .

عطيل : لو أَنَّهُ طَابَ لِلسَّمَاءِ أَنْ تَمْتَحِنَنِي بِأَشَدِّ الْبَلَايَا فَأَمْطَرْتَ

عَلَى رَأْسِي حَاسِرًا صَنُوفَ الْآلَامِ وَالْمَعْرَاتِ وَأَغْرَقْتَنِي

فِي الْفَقْرِ إِلَى الشَّفَتَيْنِ وَسَامَتَنِي الْأَسْرَ وَخِيَةَ الْبَقِيَّةِ

مِنْ آمَالِي ، لَوْ جَدْتُ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ نَفْسِي أَذْنِي مَوْضِعَ

لِلصَّبْرِ ، وَلَكِنْ يَا لِلْحَيْفِ ، لَا صَبْرَ لِي عَلَى أَنْ أَكُونَ

تَمَثَالًا يَرْمُقُهُ الزَّمَانُ وَيُشِيرُ إِلَيْهِ الْإِحْتِقَارُ بِأَصْبَعٍ

يَرْفُوعُهَا عَلَى مَهْلٍ . عَلَى أَنِّي رُبَّمَا تَمَادَيْتُ إِلَى تَحْمِيلِ هَذَا

وَلَا بِأَسْ . إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ مَقْدِسًا أَوْدَعْتَ فِيهِ قَلْبِي

وَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ أَعِيشَ فِيهِ أَوْ لَا مَعْنَى لِلْعِيشِ ؛

ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ يَنْبُوعًا يَجْرِي مِنْهُ تَيَّارٌ بَقَائِي وَبِدُونِهِ

يَنْضُبُّ فَأَنَا بَيْنَ خُطَّتَيْنِ إِمَّا أَنْ أُطْرَدَ مِنَ الْمَقْدِسِ

وإِمَّا أَنْ أَبْقَى الْيَنْبُوعَ مَبَاحًا كَالْبُئْرِ تَرِدُهُ الصَّرَاصِيرُ

القدرة وتتواقع بجانبه وتتناسل . إياها أيها الصبر
إياها أيها الملك الوردي الثغر ، تحول تجاة هذا
المشهد واتخذ وجهاً قائماً كوجه سقر^(١) .

ديدمونه : أرجو أن يكون سيدي على يقين من عفتي .

عطيل : إي نعم كيقيني من ذباب الصيف في المجازر لا تبيض
حتى تتجامع . أيتها الزهرة المتناهية رقةً وجمالاً
النافحة من الطيب ما يسكر الجوارح لماذا ولدت
في الدنيا ؟!

ديدمونه : يا ويحي أية خطيئة من خطايا السهو اقترفت ؟

عطيل : هذه البشرة الناعمة . هذا الكتاب الشائق المكسوف
أ كان مُعداً لتخط على ظاهره كلمة « مومس » ؟ أية
خطيئة ارتكبتها ؟ ! يا بغي السوق لو ذكرت لك
ما فعلته لاهمرت وجنتاي كالتنور ولسحقتهما كل
خجل سحق الرماد . أية خطيئة ارتكبتها ؟ السماء
تسد أنفها من رائحتها والقمر يغمض عينيه من

قبحها والنسيمُ الفاسِقُ الذي يُقْبَلُ كُلُّ ما يمر به
يُخْتَبِئُ منها في جوفِ الأرض ويأبى سماعها . أَيْةُ
خطيئة ارتكبتها أيتها الفاجرة الوقحة ؟!

ديدمونه : وإيَّهم السماء إنك لتفتري على الإهانة .

عطيل : أَلستِ عاهرة ؟

ديدمونه : لا والذي خلقتني مَشْقِيَّةً ، وإذا لم يكن إثمًا على
حفظي لهذا الإناء الجثاماني تقيًّا من كل شائبة ومَلَمَسٍ
سيِّئٍ فلستُ ما تصف .

عطيل : وكيف لست بغيا .

ديدمونه : إني لمؤمنة ببراءتي كما يمانى بنجاتي من عذاب الآخرة .

عطيل : أفي الاحتمال هذا ؟

ديدمونه : غفرانك اللهم لنا غفرانك .

عطيل : إذن أسألك العفو فقد كنت ظننتك تلك الخبيثة

العاهرة من عواهر البندقية التي اقترنت بعطيل .

أنت يا سمحة أنت التي تمتهنين تقيض مهنة بطرس

وتحرسين أبواب جهنم .

(تدخل إميليا)

عطيل : أنت أنت ! نعم أنت . لقد قضينا لبا نتنا وهذا جزاؤك من

النقود . أرجو أن تُغلق الأبواب وتكتمى سرنا (يخرج) .

إميليا : ويلاه ماذا يتصور هذا السيد ؟ كيف أنت الآن

يا مولاتي الكريمة ؟

ديدمونه : بين نوم ويقظة .

إميليا : ماذا جرى بينك وبين مولاي ؟

ديدمونه : وبين من ؟

إميليا : وبين مولاي ياسيديتي .

ديدمونه : من مولاك ؟

إميليا : الذى هو مولاك ياسيديتي .

ديدمونه : لا مولى لى . لا تكلمينى إميليا فما أستطيع البكاء

ولا جواب بغيره عندى . أرغب إليك أن تضعي

فى هذا المساء على سريرى أغطية العرس . لا تنسى

وأذهبنى فادعى زوجك إلى .

إميليا : هذا تغيير عجيب (تخرج) .

ديدمونه : عدل ما عوملت به ، عدل ولكن ما الذى صنعتُهُ

حتى إن أكبر هفواتي أدخلت على نفسه أدنى ريب !

(تعود إميلييا وياجو)

ياجو : ماذا تريدن يا سيدتي ؟ ماذا جرى ؟

ديدمونه : لا أقدر على ذكره ، الذين يربون الأطفال يرفقون

بهم ويكلفونهم الأعمال السهلة ، كان يستطيع أن

يعاملني هكذا — لأنني طفلة متى زجرت ...

ياجو : ماذا حدث يا سيدتي ؟

إميلييا : ويلاه إن سيدى قد أهانها كثيراً ودعاها بغياً

وحقرها تحقيراً مُرهقاً بالفاظ سمجة لا تطيقها

القلوب الكريمة .

ديدمونه : أنا جديرة بهذه التسمية يا ياجو ؟

ياجو : أية تسمية أيتها السيدة الجميلة ؟

ديدمونه : التي دعاني بها مولاي

إميلييا : دعاها بعاهرة وهو ما لا يقوله الشحاذ السكران لمن

هى معه .

ياجو : علام فعل هذا ؟

يديدمونه : لا أدري . وأنا على ثقة من أنني لست كما زعم .

ياجو : لا تبكي لا تبكي . ويلاه ، مصيبة .

إميليا : أتركت سائر خطابها الشرفاء وهم كثير ، وتركت

أباها وبلادها وأصدقاءها لتسمى عاهرة ؟ أليس في

هذا ما يستبكي ؟

يديدمونه : قضاء من نحسى .

ياجو : لعنة الله عليه لفعله هذا ، من أين أصابه هذا الجنون ؟

يديدمونه : الله وحده يعلم .

إميليا : بل على عنقي . إن هناك غداراً هالكاً دسّاساً محتالاً

شحاذاً تماماً غشاشاً وشي وشاية لينال منصباً . على

عنقي هذا ما هو كائن .

ياجو : دعى الوهم أيوجد رجل من هذا النوع ؟ ! محال .

يديدمونه : إذا كان موجوداً فليساحمه الله .

إميليا : بل ليساحمه جبل المشنقة ولتأكل جهنم عظامه .

لم دعاها بغياً .. من الذي يعاشرها وأين ومتى وأى

ظاهر دل . وهل هو معقول ؟ .. لقد خدع المغربي .

خدعه أحدُ السَّفَلَةِ الأذنياء المجرمين الأبالسة أحد
 المكرّة المتهنّين . ياللسماء لو عدلت لوجب أن
 تكشفني الستار عن أولئك المجرمين وتضعي سوطاً
 في يد كل رجل كريم يُسَاطَ به أولئك اللثامُ في
 أطراف الدنيا من الغرب إلى الشرق .

ياجو : اخفضي من صوتك .

إميليا : خيبةٌ وعارٌ على أولئك الناس . ألم يُدخِل عليك
 واحدٌ منهم أن يبنى وبين المغربي ريبة (مخاطبة ياجو
 بصوت منخفض) .

ياجو : (من جانب إلى إميليا) أنت حمقاء امشي .

ديدمونه : ياجو واحسرتاه كيف أصنع لأعود إلى رضى مولاي
 اذهب إليه يا صديقي لأنى وإيمُ هذا النور السماوى
 لا أعرف كيف فقدته . إننى لأجشوهنا ولئن كنت
 قد أخطأت إلى غرامه مرة عن قصد سواء بلسانى
 أم بفكرى أو بفعلى ، بل لئن كانت عينى أو أذناى
 أو أية حسّه من حواسى الآخر مالت إلى غيره ،

بل لئن كنت غيرَ مقيمةٍ على حبه الآن كما كنت
 أحبه وكما سأحبه أبداً حتى ولو قذف بي في شقاوةِ
 الطلاق ، لا كانت لي سألوى ولا تعزية في هذه
 الدنيا . إن القسوة لتقدر على كثير وقسوتهُ علىَّ قد
 تقتلني على أنها لا تدنسُ غرامى . أنا لا أستطيع أن
 أقول بغى . . هذه الكلمة يؤلمنى لفظها فما بال العمل
 الذى يصمُّ بها ولو دعتنى إليه جميع أباطيل الحياة .
 يا جو : صبراً صبراً إن هى إلا سحابةٌ كدرٍ وتنقضى .
 لقد أزعجته أحوال الحكومة فوقع عليك غضبه .
 ديدمونه : إن لم يكن سببٌ إلا هذا رضيت .
 يا جو : لا سبب إلا هذا ، على عهدتى (تسمع أبواق) اصغى
 هذه الأبواق تدعوك إلى العشاء وسفراء البندقية فى
 انتظارك للجلوس إلى المائدة . انهضى إليهم ولا تبكى
 ثم كل شئ يحبب على المرام (تخرج ديدمونه وإميليا)
 ما جاء بك ياردريجو .

(يدخل ردرىجو)

ردريجو : لا أجذك تحسنُ الصنيعَ معي .

ياجو : ما يثبت لك ذلك .

ردريجو : كل يوم تطاولني ملتصقاً عذراً جديداً ويظهر أنك

تمنعني الفرصَ بدلاً من أن تساعد على سئورها . لن

أتحمل هذه السيرة ولم يبقَ في وسعي أن أهضم

بسكينة كل ما هضمته عن حق من قبل .

ياجو : أتصغى إلى وتمثل يا ردريجو ؟

ردريجو : وذهمتي لقد طالما امتثلت فما حلوتُ بباطل لأن

أقولك لا تنطبق على أفعالك .

ياجو : تتهمني بغير حق .

ردريجو : بل بحق ، فلقد أنفقتُ ما جاوزَ مقدرتي والجواهر

التي أعطيتك إياها برسم ديدمونه كانت تكفي

لقصم رَاهِبَةٍ من نصفها ؛ فإن كنت قد أوصلتها

كدعواك وكانت العِداتُ ^(١) التي جئتني بها منها

شكراً صحيحاً فلم لا أجد تحقيقاً لشيء منها ؟

ياجو : امض في كلامك . هذا حسن .

ردريجو : امض . كفاني ما مضى — هذا حسن . أقول إن

فعله ليس بحسن . بل إنه نهاية في القبح وقد ألمح
أنك عبثت بي في هذه المسألة .

ياجو : حسن في الغاية .

ردريجو : قلت لك إنه غير حسن لا في الغاية ولا في البداية .

أريد أن تعرفني ديدمونه ؛ فإذا ردت على جواهرى
عدلت عن متابعتها والتمست الصفح منها عن سوء
ما نذبتها له وإلا جعلتك مسئولا عنها وأزلت
بك عقابي .

ياجو : ماذا كنت تقول بعبارتك الأخيرة .

ردريجو : لم أقل إلا ما أنا مزع فعله عن يقين .

ياجو : الآن تبينت أنك باسل ، ومنذ الساعة أرى فيك رأيا

لم أراه من قبل . صاخني يا ردريجو لقد أسأت بي

الظن ولك العذر غير أنني أوكد لك أنني اشتغلت

بمهارة لا تقبل المزيد في مسألتك .

ردريجو : مهارة لم أثبت أثرها !

ياجو : أسلم ، ولهذا أجدك حكمت بعقل . لكن إذا صح
أن عندك ما أعتقده الآن فيك من الشجاعة ورَباطة
الجأش فأرنيهما الليلة؛ فإذا كنت في الليلة التالية لا تتمتع
بديدمونه كان لك أن تقصيني عن هذه الدنيا بخيانتى
وتنصب من الفخاخ ما تشاء لإفقادى حياتى .

ردريجو : أوافق . ما الذى تبتغيه منى ؟ أشئ في الإمكان
أو المعقول ؟

ياجو : لقد جاء وفد خاص من البندقية لإحلال كاسيو
محلَّ عطيل .

ردريجو : أصدق هذا النبأ . إذن عطيل وديدمونه يعودان
إلى البندقية .

ياجو : كلا ، بل يذهبان إلى موريتانيا إلا إذا اضطرت
الأحوال عطيلاً أن يُطيلَ مُقامه هنا ، وخير ما
يستطالُ به مقامه أن يحذف كاسيو .

ردريجو : ما تعنى بهذا الحذف ؟

ياجو : أغنى أن يُعاقَ عن الحلول محلّ عطيل . . . أن
يَهْشَمَ رأسه .

ردريجو : وهذا ما تنوطه بي .

ياجو : نعم إذا جرؤت أن تملك نفسك نقعاً وحقاً . سيتعشى
الليلة عند فاجرة فالحق به إلى منزلها وهو ما زال
يجهل النعمة التي وقعت إليه فارقبه إن شئت بين
منتصف الليل والساعة الواحدة . . . ومتى ألفتني
يجانبك لأعينك بحيث لا ينجو من ضرباتنا ، فاعزم
ولا تقف دهشاً متردداً بل تعال معي ، سأريك
بعينيك وجوب قتله فتجد من نفسك عاملاً على
الإيقاع به . قد مضى ميعاد العشاء فلا تتباطأ لعدم
فوات الفرصة هلم بنا إلى العمل .

ردريجو : أريد أسبأباً أدعى من هذا لارتكاب ما تكافئني إياه .
ياجو : سأوافيك منها بما تشاء . أرح بالك (يخرجان)

المشهد الثالث

مسكن آخر في القصر

(يدخل عطيل ولودوفيكو وديدمونه وإميليا وأتباع لهم)

لودوفيكو: حلفت عليك إلا ما منعت عن نفسك أمثال
هذه المكدرات .

عطيل : ألا تسمح بالخروج قليلاً لأن التنزه يفيدني .

لودوفيكو: طاب ليلك يا سيدتي وشكراً جزيلاً لفضلك .

ديدمونه: الشكر لك على التشريف .

عطيل : أتمضى للتنزه يا سنيور .. أه ديدمونه .. انطلق

وادخلي سريرك منذ الآن . سأعود بلا توان ثم

أصرفي التابعة ولا تنسى .

ديدمونه: نعم يا مولاي (يخرج عطيل ولودوفيكو والأتباع)

إميليا : يظهر أنه أصفى مما كان .

ديدمونه : قال إنه عائد حالاً وأمرني أن أذهب إلى السرير
وأوصاني بصرفك .

إميليا : بصرفي ؟

ديدمونه : كذا أراد ؛ فأعطيني يا عزيزتي إميليا بدلة نومي
ودعيني ، إذ لا ينبغي أن تفعل الآن ما لا يرضيه .
إميليا : كنت أودّ لو لم تريه قط .

ديدمونه : ليس هذا ما أود وإنّ حيّ له ما زال بأ كمله —
أرجو أن تفكّي عرى ثوبي — حتى إنني لأجد
لطفاً وجمالاً في غضبه وزجراته .

إميليا : جعلتُ على السرير الأغطية التي أوصيتني بوضعها
ديدمونه : استوى عندي كل شيء . ما أعبث الجنون بنفوسنا .
إذا متّ قبلك فأمنيتي أن تلفّيني بهذه الأغطية .
إميليا : دعي دعي السفسات .

ديدمونه : كانت لأمي وصيفة تدعى برباره وكانت تعشق رجلاً .
ذلك الرجل أصيب يوماً بخبال وهجرها فكانت
لا تقفأ تُنشد أنشودة قديمة تعبر أحسن تعبير عن

سوء بختها . ولما حضرتها الوفاة قضت نحبها وهي
تتغنى بها . تلك الأنشودة تعاودُ فكري الليلة بلا
انقطاع ، وأكاد لأملك رأسي أن يميلَ إلى جانب
ولا لسانى أن يردد أنشودة المسكينة برباره . عجلى
ولك الشكر .

إميليا : أأحضرُ لك قيصَ النوم ؟

ديدمونه : لا ، أعيننى على تفكيك هذه العرى ، إن لودوفيكو
لرجل كريم .

إميليا : ومُنيف فى الرجال .

ديدمونه : وحسنُ الحديث .

إميليا : أعرف امرأة فى البندقية لو وُعدتْ بقبلةٍ من شفته
السفلى لسأرت إلى فلسطين فى طلبها .

ديدمونه (متغنية) :

« ثَوَّتَ الحزينة تبكى تحت الجميزة »

« غنوا جميعاً على الصفصافة الخضراء »

« وضعت يدها على صدرها ورأسها على ركبتيها »

« غنوا جميعاً على الصفصافة الصفصافة الصفصافة »

« وكانت المياه الباردة تجري بقربها وتنهّد تنهّدها »

« غنوا على الصفصافة »

« ودموعها تجري حتى تلين الصخور »

ضعي هذه الملابس ههنا

(متغنية) « غنوا على الصفصافة ... »

بحياتك عَجَلِي قد قَرُبَ معاده .

(متغنية) « ليصنع تاجي من صفصافة خضراء »

« لا تلوموه على الجفاء أفديه وأفدي إعراضه »

نسيت البقية : سمعاً .. من يطرق الباب ؟

إميليا : الريح .

ديدمونه (متغنية) :

« دعوته بالعاشق الكاذب فماذا قال »

« غنى على الصفصافة »

« إذا غازلتُ غيركِ من النساء غازلتُ غيري من الرجال »

الآن اذهبي ومَسَّاكِ الله بالخير : جُفُونِي تَحْزُنِي . أَسْبَقُ
شعور بأتى سأبكي .. ؟

إميليا : هذا لا يدل على شيء .

ديدمونه : كنت سمعت كلاماً في هذا المعنى . أوَّه الرجال الرجال !
أَتُظَنِّ يا إميليا وجود نساءٍ يُهِنَّ بعولتهنَّ إهانةً
غليظة كهذه ؟

إميليا : توجد نساء من هذا القبيل ولا شك .

ديدمونه : لو أعطيت العالم بديلاً أ كنت تقترفين خطيئةً كهذه .

إميليا : أقترفها ولا ريب . . أما أنتِ أفما كنتِ لتفعلي .

ديدمونه : لا وهذه الأنوار السماوية .

إميليا : أنا أيضاً لا أفعلها وهذه الأنوار^(١) السماوية أفما في

الظلام فيلي .

ديدمونه : أتقطينها ولو أعطيت العالم كله ؟

إميليا : العالم شيء عظيم وهو جائزة كبيرة لخطيئة صغيرة .

(١) الأنوار في السطر السابق مكسورة على الإقسام وفي هذا السطر

منصوبة باعتبار أن الواو واو المعية .

ديدمونه : أظنك إذا جدّ الجد لا تقترفينها .

إميليا : إذا جدّ الجد أظنني أفترقها ، وأنني بعد اقترافها أتوبُ عنها . لا جرّم أن الهدية لو كانت خاتماً مضاعفاً أو بعض أصوافٍ أو ثيابٍ أو قُبعاتٍ أو أيّ شيءٍ حقيرٍ من هذه الدنيا لصنعتُ نفسي ، وأما الدنيا بحذافيرها فلا . وهل توجد امرأة لا تشتري لزوجها الملك بقرنين خَفِينٍ . من يقلدُ بعلی التاج فقد رضيت بالأعراف^(١) سبيلاً .

ديدمونه : رضيتُ بلعنة الله لو رضيتُ بالدنيا قاطبة جزاء خطيئةٍ من هذا القبيل .

إميليا : خلّ عنك ، لو أوتيتِ الدنيا لما كانت خطيئتك فيها إلا إحدى الخطايا التي تجري في أملاكك ولك حينئذٍ أن تكفرى عنها سريعاً بما تشائين .

ديدمونه : لا أعتقد وجود مثل هذه المرأة .

إميليا : نعم توجدُ من صنفها عشرات بل بتعدادٍ ما يكفي لعمار

(١) مكان تطهير النفوس بعد الموت .

العالم الذى يقامرن لأجله . على أنى أعتقد أن النساء
 إذا عثرنَ فالذنب للبعولة لأنهم بين خلتين^(١) إما أن
 يهملوا واجباتهم ويلقوا بكنوزهم فى أحواض أجنبيات
 أو أن يتفجروا عليهنَّ غيرةً فيسومونهنَّ المضايقة
 وآلام الضرب ؛ وقد يبتزون أموالهنَّ . ومهما يكن
 من طبائعنا فإن فيها شيئاً من السم ، ولسنا خاليات
 من شغف بالانتقام تحت ما يروق من مظاهرنا . .
 ليعلم الأزواجُ أن لنسائهم حواسٍ مثلهم وأن لهنَّ
 عيوناً ومناشِقَ وحُلوقاً يميزن بها الحلو من المرِّ كما
 لهم . وماذا هم فاعلون حين يستبدلون واحدة منا بغيرها ؟
 أهى اللذة تدعوهم ؟ نعم . أهو الغرامُ يدفعهم ؟ نعم .
 أيضاً . أهو الضعفُ يتنقل بهم فى هذه الضلالات ؟
 نعم نعم نعم ! فإن كان الأمر كذلك أفليست لنا نحن
 أيضاً لذاتُ نشتيها وموداتُ نبتغيها مع ضعف
 كضعفهم يحملنا على غير محمل ؟ لهذا أقول إمّا أن يحسنوا

human nature

معاملتنا أو فليعلموا أن الآثام التي تقترفها إنما هي
 رجع ما نتعامله من آثامهم .

ديدمونه : طاب ليلك ومُسيتِ بخير ولينحني الله أخلاقاً تعينني
 لا على استخراج الشر من الشر بل على استخراج
 صلاح لنفسي من حيث لا يكون صلاح .

الفصل الخامس

المشهد الأول

في قبرس — طريق

(يدخل ياجو ودرريجو)

ياجو : ههنا .. قف وراء هذا الطرف من الحائط . إنه لآتِ
حالا . اسللى نصلتك الماضية وأعطه بها جوازاً لسكنى
الآخرة ... عجلاً عجلاً . لا تخف شيئاً أنا بجانبك .
إننا بفعلتنا فائزان أو هالكان . تذكر هذا وامكث
متيناً في قصدك .

درريجو : البث بقرب منى . أخشى أن يخور عزمى .

ياجو : ها أنذا على منالك . تشجع وقف متأهباً (يتنحى قليلاً)

درريجو : لا أجد من نفسى دافعاً قوياً على ارتكاب هذا العمل
إلا أن ياجو ذكر لى أسباباً مقنعة . لقد قضى على

الرجل . تجرّد من غمدك يا سيفي . إنه لهالك .
(يقف متأهباً)

ياجو : حكمتُ له ذلك الجرب حتى هاجَ وتحكّم . ليقتل
كاسيو أو ليقته كاسيو أو ليتناحر كلاهما فالنتيجة
أية كانت مفيدة لي . ذلك لأنه إذا بقي ردريجو
طالبني بالحلي والمصوغات التي سلّتها منه تباعاً بزعم
أنها هدايا إلى ديدمونه ؛ وما ينبغي أن يستردها
منى . وإذا بقي كاسيو عاش عيشة رَغَدٍ ومجد تكون
يجانبها عيشتي حقيرة جداً . فضلاً عن أن المغربى قد
يكشفه في أمرى ، فأنا إذن في خطر عظيم ولا بدّ
من قتله . صه صه . أسمع قادمًا .

(يدخل كاسيو)

ردريجو : عرفت خطاه .. هو بعينه — أنت مائت يا غادرياً أثيم
(يهجم من مكته ويضرب كاسيو)

كاسيو : لولا متانة درعى لكانت هذه الضربة أعدى أعدائى .
سأرى الآن متانة درعك .

(يَجْرَدُ سَيْفَهُ وَيَضْرِبُ رَدْرِيجُوَ فَيَجْرَحُهُ)

رَدْرِيجُو : آه قتلت !

(هَبْنَاهُ يَهْجُمُ يَاجُوَ فَيَضْرِبُ كَاسِيُوَ مِنْ وَرَاءَ ضَرْبَةِ تَصِيبٍ
خَذَهُ وَيَتَوَارَى)

كَاسِيُو : كُسِرَتْ سَاقِي وَسَأَعِيشُ أَعْرَجٌ ، يَا لِلنَّاسِ ، عَلَى
الْقَاتِلِ عَلَى الْقَاتِلِ (يَسْقُطُ)

(يَدْخُلُ عَطِيلٌ مِنْ مَسَافَةٍ)

عَطِيلٌ : هَذَا صَوْتُ كَاسِيُوَ لَقَدْ وَفَّى يَاجُوَ بِوَعْدِهِ .

رَدْرِيجُو : أَوَاهُ مَا أَشْقَانِي !

عَطِيلٌ : صَدَقْتَ !

كَاسِيُو : الْمَدَدُ الْمَدَدُ أَنْيَرُوا هَاتُوا آسِيَاءَ^(١) .

عَطِيلٌ : هُوَ ، أَيُّ يَاجُوَ الْأَمِينُ الْبَاسِلُ الَّذِي يَقْدَرُ إِهَانَةَ

صَدِيقِهِ قَدَرَهَا ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُنِي مَا يَجِبُ عَلَيَّ . وَاعَاهَرْتَا

إِنْ حَبِيبُكَ لَمَلَقَ صَرِيحًا وَإِنْ أَجْلَكَ لَيَدْنُو . . مَحْوَتُ

(١) طَبِيبَا لِلْجَرَاحَاتِ .

من قلبي طلاس عينيكَ وسيضربُ سريركَ الذي
شابه الفسقُ بشوائبَ من دِمِ فاسق .

كاسيو : يا أهل المدد . ألا حرس هنا ؟ ألا عابري سبيل ؟
يا للقتيل من القاتلين .

ل (يدخل لودوفيكو وغراتيانو من مسافة)

غراتيانو : هذا ولا ريب خطب جمل وصوتُ المستجيرِ
صوت رائع .

كاسيو : المعونة .

لودوفيكو : أصغوا .

ردريجو : يا للشقى الغادر .

لودوفيكو : هنا اثنان أو ثلاثة يَتَنَوْنَ والظلامُ حالك . من

رأى ألا تتقدم من حيث تخرج هذه الأصوات إلا

إذا جاء مدد جديد .

ردريجو : ألا يأتي أحد ، إذن يسيل دمي حتى أموت .

لودوفيكو : اسمع .

غراتيانو : هذا شخص يعدو عارياً ومعه نور وأسلحة .

(يعود ياجو ومعه مصباح)

ياجو : مَنْ هنا ؟ من الذى يقلق السكون بصيحاته
واستجاراته .

لودوفيكو : لا نعلم .

ياجو : أَلَمْ تسمعوا ضُراخاً ؟

كاسيو : إلى هنا إلى هنا أغيثونى بالله .

ياجو : ماذا جرى ؟

غراتيانو : هذا ضابط عطيل إن لم أكن واحماً .

لودوفيكو : هو بعينه ونعم الفتى الشجاع .

ياجو : مَنْ أنت أيها المستصرخ بهذا الصوت المنكر ؟

كاسيو : أياجو . ضربنى . قتلنى أناس من اللصوص أغثنى .

ياجو : أسفاً أيها الملازم مَنْ اللصوص الذين جَنَوْا

هَذِهِ الْجَنَايَةِ ؟

كاسيو : أظن أن أحدهم بقربى وحالته لا تمكنه من الفرار .

ياجو : ياللخونة العذارين (ملتفتاً إلى لودوفيكو وغراتيانو) وأتما

مَنْ تكونان . . أقبلا وامنحانا مدداً .

ردريجو : أغيثونى . أنا هنا .

كاسيو : هذا أحد المعتدين علىّ .

ياجو : يا لك من شحاذ قاتل . يا لك من غدار (يطعن ردريجو
بخنجره) .

ردريجو : أواه أيها الهالك يا جو أيها الكلب الوحشي .

ياجو : يقتلون الناس في الظلمات . أين أولئك اللصوص

السفاكون للدماء؟! ما أسكت هذه المدينة! . .!

قتيل قتيل . ترى من أتما ، أأخير أم للشر؟

لودوفيكو : احكم لنا أو علينا بما ستري .

ياجو : السنيور لودوفيكو .

لودوفيكو : هو نفسه .

ياجو : التمس العفو — هذا كاسيو جرحه بعضُ المجرمين .

غراتيانو : كاسيو .

ياجو : كيف حالك يا أخي؟

كاسيو : بُتِرتُ ساقى شطرين .

ياجو : لا سمح الله . أنيرُوا الأَصمَدَ جُرْحَهُ بِقِدَّةٍ^(١) من قيصي .

(تدخل بينكما)

بينكا : ماذا حدث . من كان يستصرخ ؟

ياجو : من كان يستصرخ ؟

بينكا : واحبيباه كاسيو واعزيزاه كاسيو كاسيو كاسيو .

ياجو : يا لك من عاهرة فاجرة . كاسيو أتحمن من المعتدون

عليك ؟

كاسيو : لا .

غراتيانو : أنا حزين لرؤيتك هكذا وكنت قد خرجت للبحث

عنك .

ياجو : أعرنى ربطة ساق . وضعت . إلينا بكرسى نحمله

عليه .

بينكا : ويلاه أغمى عليه ، كاسيو كاسيو كاسيو .

ياجو : أيها السيدان أشتبه في هذه المرأة الغادرة الواقعة هنا

أنها شريكة للمجرمين . صبراً قليلاً أى صديقي

كاسيو . هلم بنا أعيروني مصباحاً . أتعرفان هذا

الوجه أم لا ؟ ويلاه صديقي ومواطني العزيز ردريجو

لا لا . بلى بلى . يقيناً هو . . ويلاه ردريجو .

غراتيانو : البندقى .

ياجو : هو نفسه أ كنت تعرفه ؟

غراتيانو : حق المعرفة .

ياجو : أأنت السنيور غراتيانو . عَفْوَكْ ياسيدى فإن هذه

الحوادث المشؤومة هى التى شغلتنى عنك كما ترى .

غراتيانو : مسرور بمشاهدتك .

ياجو : كيف حالك الآن يا كاسيو ؟ أسعفونا بكرسى ...

غراتيانو : رددىجو .

ياجو : هو هو بعينه . واهًا . جاء الكرسي (يجلب كرسي)

ليجملهُ أَحَدُ الحاضرين بعناية وسأذهب لإحضار

طبيب القائد (إلى بينكا) أما أنت يا بنت فأبقى على

نفسك من التعب (إلى كاسيو) إن الذى يشوى هناك

صَرِيحًا كان صديقًا كريمًا علىَّ ، أى خلاف قام

بينكما ؟

كاسيو : لم يكن بيننا خلاف وكنت لا أعرفه .

ياجو : (إلى بينكا) علامَ يَمْتَقِعُ هذا الوجه ، رُدِّيهِ (يعنى

كاسيو) من الهواء (يحمل ردريجو وكاسيو) تخلفوا
 أتم أيها السادة . ما أشدَّ اصفرارك يا بنت . أترون
 سُروَدَ عينيها . إذا كَانَ الرَّعْبُ قد استولى عليكِ
 فلنعلمَنَ نبأه بعد حين . أرمقوها تفرسُوا فيها .
 انظروها ... أألمحون ؟ أيها السادة ستظهر الجريمة
 ولو أصبحَ الكلامُ عادةً مفقودة .

(تدخل إميليا)

إميليا : واحرباه ! ماذا جرى أيُّ زوجي ماذا جرى ؟
 ياجو : اغتدى على كاسيو في الظلام . هاجمه ردريجو
 وآخرون فرّوا . فأما كاسيو فصُرع وأما ردريجو
 فتجنّدل .

إميليا : واحربا على كاسيو النبيل الكريم .
 ياجو : هذا جَنَى الفسوق . بحقك يا إميليا إلا ما ذهبت
 حالا تسألين كاسيو أين تعشى الليلة (إلى بينكا)
 أترتجفين من هذا السؤال ؟

بينكا : تعشى في منزلي ولا أرتجفُ البتة .

ياجو : آه تعشى فى منزلك ؟ ! أمرك باتباعى .

إميليا : قبحاً لك يا عاهرة .

ينكا : لست بعاهرة ولكنى امرأة تعيش على هواها

وعندى من العفة مثل ما عندك يا شامتى .

إميليا : مثل عفتى ؟ ! أقبحاً وكذباً ؟ !

ياجو : هلم بنا سادتى الأعزاء نأس جراح كاسيو . تعالى

أنت يا بنت ، ستقصين علينا قصة أخرى . إميليا

عدّوا إلى القلعة وأخبرى مولاي ومولاتى بما

حدث . أتفضلون بالسير (منفرداً) هذه الليلة

ليلى فإما العمار وإما الدمار .

الشهر الثاني

غرفة نوم في القصر

(ديدمونه في سريرها و إلى ناحية منها مصباح يضيء)

يدخل عطيل

عطيل : تلك هي العلة^(١) تلك هي العلة يا نفسي . علة أعتذر
إليك عن تسميتها أيتها النجوم الطاهرة . ومع
هذا لست عازماً على سفك دمه ولا على تمزيق
بشرتها النقية كالثلج الصقيلة كمرمر القبر غير أن
موتها متحتم وإلا خانت رجالاً آخرين . لنطفئ
المصباح . وبعد... — إن أطفأتك يا وزير النور
ثم ندمت أعدتك إلى إضاءتك الأولى . ولكن متى
أطفىء منك النور يا أبداع مثال من صنع الطبيعة
الماهرة فما أعلم أيَّ ضرب من المذكيات^(٢) التي
يدخرها إله النار يستطيع أن يعيد إليك ذلك

(١) يريد بالعلة ضعف قوته الرجلية . (٢) النيران .

الروثُ والبهاء . متى استؤصلت وردتُك النضيرة
أصابها الذبول والجفافُ لا محالة ولن أملك أن أُرِدَ
عليها مقدرتها الحيوية . أريد أن أتَشَقَّها في منبتِها
(يقبلها) يا للعرف الطيب الذى يكاد يُقنَعُ العدلُ
بكسر سيفه . قبله ثانية ثم ثالثة . البنى هكذا حين
تموتين فأقتلك وأحبك بعدها . قبله أخرى وهى
الأخيرة . ما فى سوابق الدهر قبله أعذب ولا أنكى
عقبى من هذه . يجب أن أذرف الدموعَ ولكنها
دموعٌ جارحة . هذا الألم سماوى وإنما يضرب حيث
يجب (تستيقظ) . —

ديدمونه : من هنا ؟ عطيل .

عطيل : نعم ديدمونه .

ديدمونه : أتريد المجيء إلى السرير يا مولاي ؟

عطيل : هل صليت الليلة يا ديدمونه .

ديدمونه : نعم يا سيدى .

عطيل : إذا كنت تتذكرين لك ذنباً مُبْقِيَا فُرْجَةً^(١) بينك وبين رحمة الله فاستغفري حالاً .

ديدمونه : ويلاه يا مولاي ما معنى هذه الكلمات ؟

عطيل : استغفري واختصري سأتمشي قليلاً ريثما تنتهين .
لا أريد قتلَ نفسك وهي خاطئة ، أבי الله . لا أريد قتل نفسك .

ديدمونه : أتذكر القتل ؟

عطيل : إياه أذكر .

ديدمونه : إذن لترحمني السماء .

عطيل : آمين بكل جوارحي .

ديدمونه : أرجو أن لا تفعل وإن تكلمت هكذا .

عطيل : هَمْ هَمْ .

ديدمونه : ومع هذا الأمل أنا خائفة منك لأنك لا تُرَدُّ متى

كانت عينك تدور أن هكذا .. لم أخاف ولا ذنب لي .

ما أدري . ولكنني شاعرة بالخوف .

عطيل : فكري في خطاياك .

ديدمونه : لا إثم لي إلا هواك .

عطيل : لهذا ستموتين .

ديدمونه : ليس من المألوف قتل المحب من أجل حبه ، ويلاه لم

تَعْصُ هكذا على شفقتك السفلى ، أجد بك الهزّة

التي تهتزها حين سفك الدماء غير أنني أرجو أن

لا يكون تهديدُها موجهاً إليّ .

عطيل : اهدئي وأصغى .

ديدمونه : سأفعل .. ماذا تريد ؟

عطيل : ذلك المنديل الذي كنت أحبه كثيراً وأعطيتك إياه

أنت أهديته إلي كاسيو ؟!

ديدمونه : لا وحياتي ونفسي .. استدع هذا الرجل وليسأل .

عطيل : احذري يا حبيبتى احذري من الحنث^(١) وأنت

على سرير الموت .

ديدمونه : نعم ولكن لا . لا أموت الآن .

(١) الكذب في اليمين .

عطيل : بلى الآن . وأن تعترفى خير لك لأنك لو أنكرت
كل جزء من أجزاء ذنبك وشفعت كل إنكار
بقسم لما بددت قرة العقيدة التى أتألم منها . ستموتين .
ديدمونه : إذن ليرحمنى الله .

عطيل : آمين .

ديدمونه : ارحمنى أنت أيضاً . لم أسئ إليك قط فى حياتى ولم
أحبب كاسيو بل وددته كما أباح الله الوداد المألوف
ولم أهاده لعمرى بشيء ما .

عطيل : لقد رأيت منديلى فى يديه ، ويحك من امرأة خائنة
إنك لتغيرين قلبى إلى صخر وتحولين إلى مقتل
ما كنت أعتقدُهُ قرباناً . رأيت المنديل بعينى .

ديدمونه : لعله وجده ضائعاً أما أنا فلم أعطه إياه . أرسل فى
طلبه وليعترف بالحق .

عطيل : قد اعترف .

ديدمونه : ماذا تقول يا مولاي ؟

عطيل : إنه قضى منك مارباً .

ديدمونه : مأرب سوء .

عطيل : نعم .

ديدمونه : لن يقول ذلك .

عطيل : أجل لأن فيه أفل وقد صدر أمرى إلى ياجو الوفى
بما يجب .

ديدمونه : إن خوفى قد أدرك معنى هذه الكلمات . أمات ؟

عطيل : لو كانت له أعمارٌ عِدَادَ شعره لافتستها كُلُّهَا .

ديدمونه : ويلاه قد خانوه وأضاعونى .

عطيل : اهلكى يا فاجرة أتبكيه بمشهدٍ منى .

ديدمونه : بحياتك يا سيدى انفى ولكن لا تقتلنى

عطيل : اهلكى يا فاجرة .

ديدمونه : اقتلنى غداً ودعى أعيش الليلة .

عطيل : إذا حاولت المقاومة

ديدمونه : نصف ساعة بلا مزيد .

عطيل : لا تأخير .

ديدمونه : ميقات ما أصلى .

عطيل : لَات سَاعَةً صَلَاةً ^(١) (يَحْتَقِبُ) *

إميليا (من الخارج) : مولاي مولاي !

عطيل : ما هذا الصوت . لم تمت تماماً إني لقاسٍ ولكن
رحيم . لا ينبغي إطالة عذابك . هكذا هكذا .

إميليا (من الخارج) : مولاي مولاي !

عطيل : مَنْ هنا ؟

إميليا : مولاي الكريم ، كلمة واحدة !

عطيل : نعم هي إميليا . حالاً . ماتت . لعلها قادمة تخبرني بموت

كاسيو . كانت الضوضاء شديدة . آه متنع كل

حراك . ساكنة كالقبر . أأسمح بدخولها أيحسن .

أظنها تتحرك . لا . ما الأصلح . إذا دخلت حاولتُ

بلا ريب مخاطبة امرأتى .. امرأتى .. أية امرأة .

لا امرأة لى . . ياللد كرى الفاجعة ياللساعة القاصمة

يَحْيِلُ إِلَى أَنْ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُحَاقًا فَظِيْعًا فِي هَذِهِ

السَّاعَةِ ، وَأَنْ كُرَةَ الْأَرْضِ سَتَسْتَشِقُّ بَيْنَ هَذَا الْاِخْتِلَاطِ

إميليا (من الخارج) : يا سيدي الكريم أستحلفك أن تسمح لي
بكلمة .

عطيل : كنت قد نسيت . ادخلي يا إميليا . تمهلي . حالاً .
لنسدل الأستار . أين أنت؟ (يفتح الباب) ماذا تلتجئين
في مثل هذه الساعة؟

إميليا : يا سيدي الكريم قد ارتكبت جريمة منكرة .

عطيل : متى . الآن؟

إميليا : الساعة يا سيدي .

عطيل : هذا ناتج من مخالفات القمر لأنه يقربُ من الأرض
أكثر مما يجب ويُدخلُ الجنونَ على الناس .

إميليا : كاسيو يا سيدي قتل شاباً بندقياً يدعى ردريجو .

عطيل : قتل ردريجو وقتل كاسيو !

إميليا : لا . . كاسيو لم يقتل .

عطيل : كاسيو لم يقتل إذن فالقتل يتغنى غلطاً والانتقامُ

المطربُ يشوش أنغامه .

ديدمونه : آه قتلت خطأ ، خطأ قتلت .

إميليا : ويلاه ما هذا الصوت ؟

عطيل : أى صوت ؟

إميليا : صوت مولاتى . الغياث الغياث . أى سيدتى تكلمى

مرة أخرى ، أى ديدمونه الطاهرة ، أى مولاتى

الرقيقة تكلمى .

ديدمونه : أموت بريئة !

إميليا : ومن جنى هذه الجناية ؟

ديدمونه : لا أحد . أنا جنيتها أستودعك الله ، اذكرينى لدى

مولاي الحبيب أه أستودعكم الله (تموت)

عطيل : ولكن كيف أميتت ؟

إميليا : من يعلم ، يا للأسف .

عطيل : أسمعت من فيها أننى لم أكن أنا الفاعل ؟

إميليا : هذا ما قالته وعلى أن أجيب بالحق .

عطيل : ذهبت إلى جهنم المحرقة بما كانت تكذب ، أظن

الذى قتلتها .

إميليا : أواه إنها بهذه الميتة لم تزد إلا طهارة الملك الكريم

كما أنك لم تزد يحنيتك إلا سواد الشيطانِ الرحيم .

عطيل : كانت عاهرة .

إميليا : اتهمتها كذباً ووشايةً أنت إبليس .

عطيل : كانت غشاشة الظاهر كالماء .

إميليا : وأنت جسورٌ كالنار بقولك إنها غشاشة . لهفي

عليها كانت أصدق من أبرار السماء .

عطيل : كاسيو ضاجعها .. اسألي زوجك عن ذلك ولولا

هذا السبب الحق لما فعلت فعلتي إلا وأنا هالك

إلى أدنى قاع جهنم .

إميليا : زوجي ؟ !

عطيل : بعينه .

إميليا : كان يعلم أنها غير متعفة لوليتها ؟ !

عطيل : نعم .. وأنها زنت مع كاسيو . على أنني لولا ذنبها

هذا لو أبدلت منها بالعالم وقد جمع إلى جوهرة

واحدة ما رضيت .

إميليا : زوجي ؟ !

عطيل : نعم هو أول من أطلعني على سرها وإنه لرجل صالح يكره الحمأة التي تعلق بالأعمال السيئة .

إميليا : زوجي ؟ !

عطيل : ما معنى هذه الإغادات .. قد قلت لك يا امرأة إنه زوجك .

إميليا : يا مولاي إن الغدر قد قامر الغرام مقامرة خديعة .. أزوجي الذي قال إنها فاسقة ؟ !

عطيل : هو نفسه يا امرأة . زوجك نفسه أفهمت ؟ صديقي زوجك ياجو الوفي المخلص .

إميليا : إن كانت هذه وشايتة فليت نفسه الشريرة تتعفن كل يوم مرة . إنه كذب من صميم فؤاده وإنها كانت مجنونة حباً بالبشع الخفيف الذي اختارته بعلا .

عطيل : الله !

إميليا : افعل كل فظيعة بعد الآن فإن نفسك لا تستحق النعيم بأكثر مما كنت تستحقها عروساً لك .

عطيل : أولى لك السكوت .

إميليا : ليس عندك من الاقتدار على الإيذاء نصف ما عندي
 من الجلد يا أيها المخدوع يا أيها الأبله . لقد ارتكبت
 جريمة ... لا أخاف سيفك وسأكشف أمرك
 حتى لو كانت لي عشرون حياة وفقدتها . الغياث
 الغياث . المدد المدد ، المغربي قتل مولاتي . على القاتل
 على القاتل .

(يدخل متتانو وغراتيانو وياجو)

متتانو : ماذا جرى أيها القائد ؟

إميليا : أنت يا ياجو حضرت . لا جرم أنك أحكمت سيرك
 فجعلت الناس يلقون عليك تبعات آثامهم .

غراتيانو : ماذا جرى ؟

إميليا : كذب هذا المجرم إن كنت رجلاً . يقال إنك
 وشيت عنده في امرأته وأعلم أنك لم تفعل ولست
 ذلك الأثيم ... تكلم لأن قلبي فائض بما فيه .

ياجو : قلت له ما كنت أعتقد ولم أزدّه على ما تحقق بنفسه .

إميليا : ولكن أذكرت له مرة أنها غير مستقيمة .

ياجو : نعم .

إميليا : كَذَبْتَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْهِ كَذِبًا قَبِيحًا مُهِلِكًا لِلنَفْسِ .

أهَى اقترفت إثماً مع كاسيو ، أقلت مع كاسيو ؟

ياجو : مع كاسيو يا قوادة ، اقطعي هذا اللسان .

إميليا : لا أقطعُه وسيدتي هنا مقتولةٌ في سريرها .

الجميع : معاذ الله .

إميليا : ولم يرتكب هذا الجرم إلاّ بناءً على سعاياتك .

عطيل : لا تدهشوا يا سادة هذا هو الحق .

غراتيانو : أمر غريب .

متتانو : عمل فظيع .

إميليا : مكيدة مكيدة مكيدة . شعرت بها من قبل

وما صدقت . يا للمكيدة يا للمكيدة سأموت غمّاً .

ياجو : أأنت مجنونة عودى إلى البيت .

إميليا : يا سادتي ائذنوني بالكلام ، يجب أن أطيعه أما الآن

فلا ولعلّى لن أعود أبداً يا ياجو .

عطيل (يسقط على السرير) : آه آه آه .

إميليا : نعم تقبّ واجأر لأنك قتلت أظهر وأرق بريئة

رفعت عينها إلى السماء .

عطيل (ناهضاً) : بل كانت زانية - لم أعرفك قبلاً أيها العم .
هنا كريمة أخيك مضطجعة وهتان هما اليدان اللتان
أخذتا أنفاسها وأعلم أن هذا العمل فظيع
شديد القسوة .

غراتيانو : يا لها من مسكينة . أحمد الله أن أباه سبقها من فرط
الحزن الذي مزق نسيج حياته ولو كان الآن حياً
لدفعه هذا المصاب إلى عمل هائل من أعمال اليأس
يطرد به ملك الرحمة من جانبه ويستترل عليه
لعنة ربه .

عطيل : هذا محزن في الغاية ولكن ياجو يعلم أنها صانعت
كاسيو ألف مرة وكاسيو اعترف بذلك وقد كافأته
على أعماله الغرامية بأن أعطته ما أهديته إليها في
أوائل أيام الحب بينما دليلاً على شغفي بها وإخلاصي

لها ثم إني رأيت هديتي في يده وهي منديل كان أبي
قد أهدها إلي والدتي .

إميليا : يا إله السماء !

ياجو : أخرجني .

إميليا : لا بد من إظهار الحقيقة أسكت أيها السادة ،

لا لا ، سأتكلم بطلاقة ريح الشمال . السماء والناس

والزبانية كلهم كلهم يصيحون بالعار على إذا

لم أتكلم .

ياجو : تعقلي وارجعي إلى البيت .

إميليا : كلا (يهجم ياجو عليها ليضربها بخنجره) .

غراتيانو : عَيْبُ رَفْعُ السِّلَاحِ عَلَى امْرَأَةٍ .

إميليا : يا أيها المغربي البليد ، المنديل الذي تذكره وجدته

أنا بالمصادفة وأعطيته لزوجي لأنه كان كثيراً ما يلج

على بسرقة وكنت أتعجب من شدة اهتمامه بتافهة

كهنه .

ياجو : يا للمومس الجانية !

إميليا : أعطته لكاسيو — كلا — واحسرتاه أنا التي وجدته
ضائعاً وأعطيته لزوجي .

ياجو : تكذبن يا قدرة (يطعنها ويهرب) .

إميليا : بالله العظيم لا أكذبُ يا سادتي (إلى عطيل) ويحك
من قاتل أبله ما كان لأحقّ مثلك أن يعاش
حوراء كهذه .

عطيل : أليس في السماء حجارةٌ غيرُ التي تستخدم للصواعق ،
يا للمجرم الذي يفوق دهاؤه كُلَّ تصوّر .

غراتيانو : هذه المرأة تميد . سقطت . قتلها ولا شك .

إميليا : نعم اتقلّوني إلى جوار سيدي .

غراتيانو : لقد هرب .

منتانو : هو مجرم بلا مرأى — خذوا هذا السلاح الذي نزعتهُ

من المغربي واذهبوا لحراسة الباب الخارجى ولا تدعوه
يجتازه أو تقتلوه أما أنا فسألقُ بذلك المجرم . إنه

لعبد هالك النفس (يخرج) .

إميليا : علام كانت تدل أنشودتك يا سيده . أصغى . أسامعة .

سأَموت متغنية ، الصفصافة الصفصافة الصفصافة ،

أيها المغربي كانت طاهرة . كانت تحبك أيها القاسي .

ليت نفسى تنجو بمثل ما أقول الحق وأصرحُ عما

فى ضميرى ، أموت أموت (تموت) .

عطيل : عندى سيف آخر فى هذه الغرفة . سيف إسباني ماضٍ

مجوهرها هو ذا — يا عمَّ يجبُ أن أخرج .

غراتيانو : إذا حاولت الخروج جازفتَ فى عمرك ، لست مسلحاً

وقد تقع على ما تكره .

عطيل : إذن ارجع وتعال كلمنى وإلاَّ هجمتُ عليك مع كونى

أعزل .

(يدخل غراتيانو)

غراتيانو : ما تروم ؟

عطيل : انظر ، معى حسام مما لم يتقلد مثله جنديٌّ ولقد شهدت

زمنًا كنت فيه بهذه الذراع الصغيرة وهذا السيف

الوفى افتتح لى طريقاً بين عقباتٍ تربو عشرين مرة

على ما تتصور . ولكن يا للفخر الباطل ! من الذى

يُخالف المقدور عليه . الآن أنا غير ما كنت فلا
تخفْ ولو رأيتني مسلحاً . هذا محط رحالي ومرْبطُ
شراعي وغايةُ سفري - أترجع من الرعب - رعبك
لا طائل تحته . وجهه خَيْرُ رَأْنَةٍ إلى صدر عطيل وهو
الذي يتراجع . إلى أين يستطيع عطيل أن يذهب
الآن - أريني كيف وجهك في هذه الساعة؟ يا للمرأة
التي ولدت تحت طالع منحوس . إنك لصفراء بلون
قميصك فإذا التقينا لدى محكمة الله فرويتك على هذه
الصفة تكفي لإسقاط رُوحِي من السماء فيلتقطها
الزبانية - هادمة يا بنيتي ، قريرة كطهارة نفسك .
ويل للشحاذِ اللعين . أيها الشياطين اطرُدُونِي ضرباً
بالسياط من أمام هذا النور السماوي واقذفوا بي
أثقلبُ وأتدهورُ بين العواصف بلا استقرار ، أغلوني
في النفط ، دحرجوني إلى أعماق بعيدة من النار
السائلة . أي ديدمونه لقد متَّ متَّ آه آه ...
(يدخل لودوفيكو وياجو وكاسيو)

لودوفيكو: أين ذلك الشقي المختيل؟

عطيل : الذى كان عطيلًا ؟ هأنذا ...

لودوفيكو: أين ذلك الثعبان ؟ هاتوا ذلك المجرم ...

عطيل : أتقرّس فى رجليه ! هذه أعجوبة من خرافات

الأولين . إذا كنت شيطانًا فلن أستطيع قتلك .

لودوفيكو: انزعوا منه سيفه .

ياجو : جرحت يا سيدى ولكن لم أمت .

عطيل : أريد أن تعيش لأن الموت سعادة .

لودوفيكو: أى عطيل الذى كنت عنوان الفضائل واستسامت

لمكايد هذا الشحاذ الهالك بأى اسم ستسمى ؟

عطيل : ليسمّونى كما يشاءون إن أنا إلاّ قاتلٌ شريف لأننى

لم أفعل فعلى عن حقد بل دِفَاعًا عن الشرف .

لودوفيكو: هذا الحقير اللئيم اعترف بجزء من جريمته . أ كنت

متواطئًا معه على قتل كاسيو ؟

عطيل : نعم .

كاسيو : يا قائدى العزيز لم أفعل قط ما يسوءك .

عطيل : أنت صادق وألتمس منك الصفح . أتريد أن تتفضل
وتسأل هذا النصف الشيطان لماذا سحر عقلي وجسمي
كما فعل ؟

ياجو : لا تسألوني شيئاً فقد علمتم ما علمتموه وبعد هذه
اللحظة لن أنبس بكلمة .

لودوفيكو: حتى ولا للصلاة !

غراتيانو : إن التعذيب سيفُضُّ فاك .

عطيل : هذا هو العمل الصالح المفيد .

لودوفيكو: أيها السيد يجب أن تعلم من بقية المسألة ما لم تزل
تجهله فيما أظن . هذا كتابٌ وجد في جيب ردريجو
الذي قتل وهذا آخر ومن أحدهما يؤخذ أن مقتل
كاسيو كان منوطاً بردريجو .

عطيل : يا للمجرم !!

كاسيو : يا للعمل الشنيع الذي لا يعملهُ إلا وثنى .

لودوفيكو: وهذا كتاب آخر وجد في جيبه كان في عزم ردريجو

على ما يظهر أن يرسله إلى هذا الأثيم الهالك غير أن
ياجو لقيه قبل إرساله وتمكّن من تهديته خاطره .

عطيل : ويحك أيها الشقي المؤذي — كيف وجد بيدك ذلك
المنديل الذي كان لامرأتى يا كاسيو ؟ !

كاسيو : وجدته في غرفتى واعترف هو نفسه منذ هنيئة أنه
كان ألقاه بيده فيها لقصدٍ ما .

عطيل : يا مجنون يا مجنون يا مجنون .

كاسيو : ويظهر علاوة على ما ظهر من كتاب ردريجو أن
ياجو هو الذى كان باعثه على التحرش بى فى ليلة
الحرس . ومن هذه الحادثة نجم عزلى . ثم ظهر أيضاً
منذ قليل بإقرار من نفس ردريجو الذى تكلم بعد
أن ظن ميتاً أن ياجو هو الذى دفعه إلى قتلى وياجو
الذى ضربه بخنجره ليُجهزَ عليه .

لودوفيكو : يجب عليك ترك هذه الغرفة واللحاق بنا فقد
استرددت منك إمارة الجند وحكومة قبرس وقادها
كاسيو مكانك . أما هذا المجرم المتفنن فهما نجد

من ضروب التعذيب لإيلامه أبعد ما يكون أجلاً
فهو ما سنعذبه به . وأما أنت فتبقى سجيناً إلى أن
يعلم أمرك في البندقية . هلموا اقتادوه .

عطيل : رويدكم أقل كلمة أو كلمتين . لقد خدمت البلاد بعض
الخدم ويعرفونها فلا أطيل عن هذا القدر في هذا
المعنى . ولكن أرغب إليكم حيناً تقصون قصتي في
رسائلكم أن تذكروني بحقيقتي لا بجزيد ولا بنقصان
والآ تدخلوا فيها شيئاً من المكر السيئ فإذا فعلتم
ذلك وصفتم حال رجل لم يعشق بتعقل ولكنه
كان خالص السريرة متجاوز الحد في حبه ، رجل
دافع الغيرة عن نفسه جهده فلما تمكنت منه تمادى
فيها إلى النهاية ، رجل غلب الأسى عينيه على أنهما
لم يكن من شيمتهما البكاء فذرفتا من الدموع أغزر
ما تنضحه أشجار جزيرة العرب من صمغها الشافي .
هكذا أرجو أن تصفوني وأضيفوا إلى ما تقدم أني
عندما كنت في حلب وأهان أحد الأعداء رجلاً من

البندقية وثبت به وجعلت يدي في عنقه وضربته ...

هكذا (يضرب نفسه) .

لودوفيكو: يا للختام الرائع .

غراتيانو : قد تلاشي كل ما كنا في تدبيره .

عطيل (زاحفاً نحو سرير ديدمونه) : لقد قبّلتك قبل مماتك

والآن لم يبقَ لي إلا أن أموتَ في قبلة .

كاسيو : كنت أخشى هذه النهاية لكنني لم أظن أن معه

سيفاً .. قَضَى وكان قلبه كسيراً ..

لودوفيكو: أين كلبُ إسبرطة . يا أقسى من الألم والجوع

والبحر . انظر هذه الجثث الطاهرة المتراكمة على

هذا السرير . هذا عملك . منظر يَنْفُثُ نَاقِعَ السم

في الأبصار فألقوا عليه غطاءً — أي غراتيانو احرس

البيت وتسلم تركة المغربي فهي إليك — وأنت أيها

السيد الوالي تحكم في عقاب هذا المجرم الجهنمي

بما تشاء . اضرب لذلك أجلاً وعين مكاناً واختر

U. S. LIBRARY

DATE DUE



AUB LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00462093

